

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# عُلُومُ الْقُرْآنِ

الطبعة الأولى : ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

الطبعة الثانية : ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

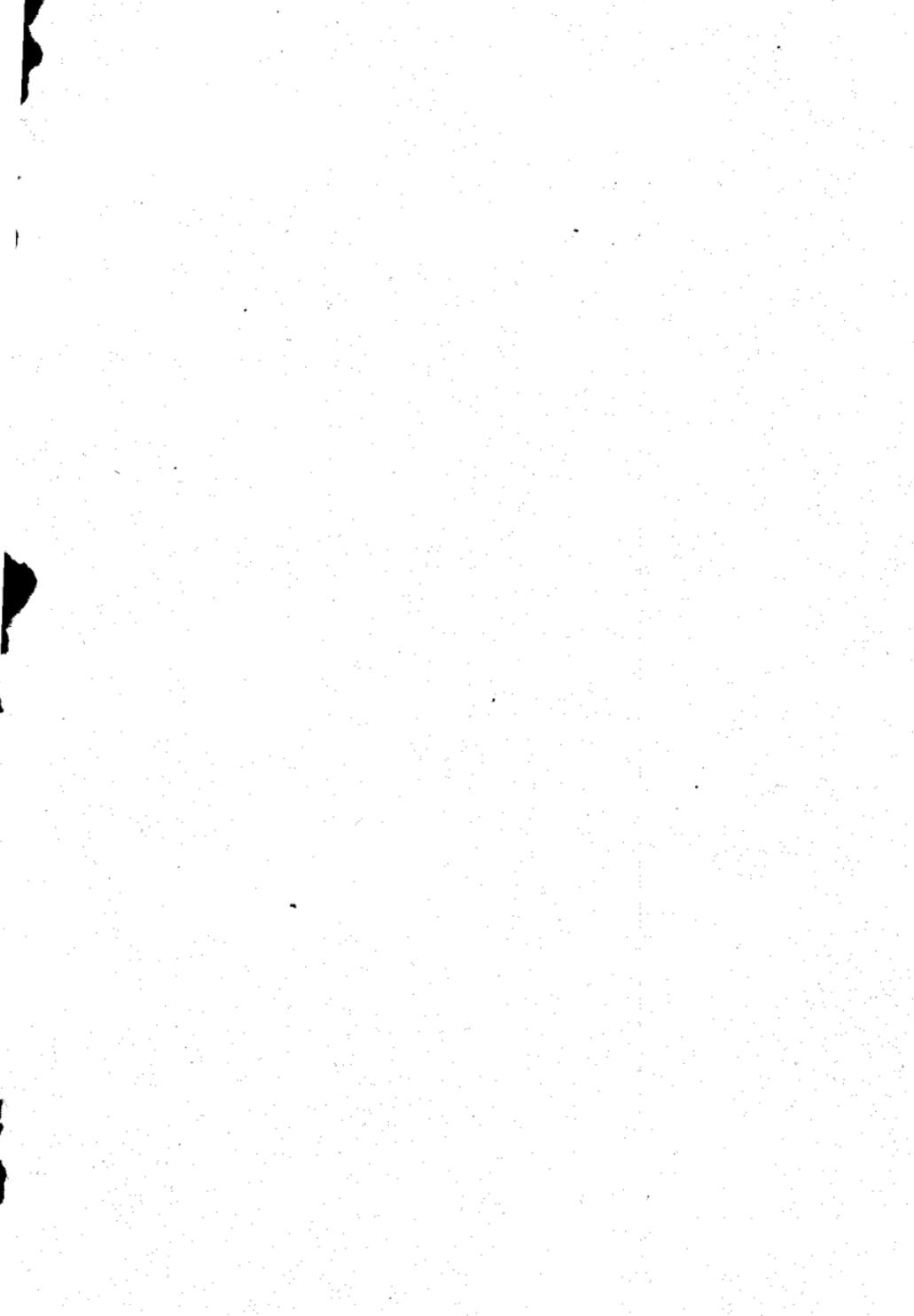
# عُلُومُ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الأهـل الحـقـقـاء

لو كان هذا البحث جديراً بهذا الشرف لأهديته إلى  
مرشدي وإمامي شهيد الإسلام الأعز لرضي الله عنه وأرضاه.

أما وإني لا يطيب لي أن أتجاوز حدي ، فإني أهديه  
إلى إخواني الأحباب ، الذين ابتسموا للمحنة وسعدوا  
بالعذاب ، ليقيموا صرح الدعوة إلى الله بالدماء والدموع  
والعرق ، واثقاً من أنهم يتقبلوه إكراماً لأخ لهم .



## تقديم لفضيلة الأستاذ الشيخ السيد سابق

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً  
قيماً. والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وعلى آله  
وأصحابه ومن اهتدى بهديه ودعى بدعوته إلى يوم الدين .  
أما بعد : فإن القرآن الكريم خير كتاب أخرج للناس  
فهو هدى ونور ، وشفاء لما في الصدور . ضم بين دفتيه العقائد  
الصحيحة التي تصل القلوب بالله ، والعبادات الصحيحة  
المزكية للأنفس ، والمقوية للارادات ، والمربية للأرواح ،  
والأخلاق الكريمة التي تهدف إلى إعلاء النفس الإنسانية ،  
والبعد عن سفاسف الأمور ورذائل الأعمال ، والأحكام  
العادلة التي تنظم المجتمع وتقيمه على الأسس الصحيحة ،  
وتضمن له السعادة والهناء .

على هذا النحو فهم الرسول وأصحابه كتاب الله عز وجل، فجعلوه نصب أعينهم، وقبله قلوبهم، وواقع حياتهم، فإذا هم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وإذا الله يَمَكِّن لهم في الأرض ويحقق لهم وعده « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا » .

ثم كان أن هجر المسلمون كتاب الله هجراً غير جميل، وأخذت تعاليمه تتقلص من المجتمع شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منه إلا آيات تردد للتبرك والتغني واستنزال الرحمات. أما إنه عقيدة تهدي، وعبادة تزكي، وخلق سام، وحكم عادل، ودستور شامل، فإنه لا يخطر لهم على بال فجزأهم الله جزاء من أهمل كتابه وأعرض عن تعاليمه .

وكان هذا درساً أيقظ الكثير من شباب هذه الأمة ،  
فهبوا يطلبون الخلاص على أساس صحيح من كتاب الله  
وتعاليمه وتجديد الدعوة إليه . وهما هو الأستاذ الفاضل  
والأخ الكريم أحمد عادل كمال يقدم هذه الرسالة النافعة التي  
حوت ما لا غنى لمسلم عن معرفته في علوم القرآن ( من  
التنزيل وأسباب النزول والتدوين والناسخ والمنسوخ... الخ )  
عالج هذه المسائل مع السهولة والاختصار والوضوح ،  
وهو بهذا يستحق مثوبة الله وحسن جزائه ، وإعجاب  
الغيورين على كتاب الله تعالى وعظيم تقديرهم .

جزاه الله عن دينه خير الجزاء ، وبارك فيه ونفع به .



# دستورنا

## مقدمة :

إذا عبرنا عن القرآن الكريم بأنه دستور ، فلسنا نقصد أنه يحوي تنظيمات للدولة وتوزيع السلطات فيها ، وبيان شكل الحكومة وطريقة الانتخاب إلى آخر هذه الموضوعات المتصلة بالسياسة الداخلية للدولة ، وإنما ينصبّ التعبير إلى أنه يضع القواعد العامة للحضارة التي جاء بها الإسلام ، ويحمل إلى البشر الروح الربانية التي تهدف إلى صبغ الحياة بها .  
إن القرآن كتاب هداية ..

هداية الفرد إلى الإيمان والعمل الصالح ..

وهداية المجتمع إلى الربانية والإنسانية والأخوة ..

وهداية العالم إلى الله ..

لهذا الوصف - وصف الهداية - وجب أن نضع القرآن في الصف الأول من قوانين الأمة ونظمها ، حتى يكون مقياساً لها تجيز ما يجيزه، وترفض ما يرفضه ، محققين بذلك ما أمرنا به من الاحتكام إلى القرآن الكريم « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

وصبغ الأمة بصبغة الإسلام، وإن كان امتثالاً لإرادة الله « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ » وهو العليم بخلقه التقدير على بيان ما به صلاحهم ، إلا أننا نعرض له كذلك على أنه العدل كل العدل والمصلحة والخير « وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا » . ونتحدى به النظم العالمية والفلسفات الوضعية ، مطمئنين إلى نتيجة هذا التحدي المقارن ، وما أراد الله بعباده إلا الخير ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .

## وكلمة أخيرة ...

... هذا الكتاب الكريم الذي يضعه الواحد منا في جيبه ، ويصحبه معه في تنقلاته ، ويكثر من النظر والتدبر فيه هو الصلة الوحيدة بينه وبين السماء ، عن طريقه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه معجزته الكبرى الخالدة ، وعن طريقه آمن بالرسل السابقين وكتبهم ، لانقطاع معجزاتهم وتحريف هذه الكتب ، وعن طريقه كذلك آمن بالملائكة واليوم الآخر وأمور العالم الغيبي كله .

فدستور دعوتنا وكتاب هدايتنا وأمر الله لنا بما فيه مصلحتنا ، والصلة الوحيدة بيننا وبين العالم الروحي كله جديرة منا بكل بحث وعناية وتدبر وتفقه . ولا تقوم هذه الرسالة في هذا المضمار بغير الإشارة إلى وجوه العناية الواجبة ، والتنبيه إلى المسائل الجديرة بالبحث ، فضلاً عما تضعه من خطوط عامة للتدبر والتفقه فيه .

ولا أجد أفضل في تقديمها مما قدم به القرآن نفسه مشير  
إلى معنى الإعجاز .. « آلم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ »  
وإلى معنى الهداية .. « هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ » .

وإلى الصلة بالعالم الغيبي « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ .  
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ  
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْآخِرَةُ هُمْ  
يُوقِنُونَ » .

وإلى الهداية الفردية  
وامتثال أمر الله ... « أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ »  
وإلى عنصر الخير والمصلحة « وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

## تنزيل القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله بمعناه وبلفظه لقوله تعالى :  
« وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى  
يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ » يعني به القرآن . وليس لروح القدس  
جبريل عليه السلام إلا نقله بلفظه العربي من سماء الأفق  
الأعلى إلى هذه الأرض . ولا لحمد الرسول الأمين وخاتم  
النبیین صلى الله عليه وسلم ، إلا تبليغه للناس بلفظه الذي  
تلقاه عن أمين الوحي جبريل ، ثم بيانه لهم بالقول والعمل  
ليهدوا به ، حتى كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن .

وقد جاء التعبير بلفظ النزول في القرآن الكريم وفي  
الحديث الشريف . فقال تعالى : « وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ  
وَبِالْحَقِّ نَزَلَ » وقال صلى الله عليه وسلم : « إن هذا  
القرآن أنزل على سبعة أحرف » والمقصود من الإنزال هنا

هو الإعلام به . وقد اختير التعبير بالإنزال والنزول ،  
 للتنويه بشرف ذلك الكتاب ، نظراً إلى ما يشير إليه هذا  
 التعبير من علو صاحب هذا الكتاب المنزل علواً كبيراً  
 « حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ  
 تَعْقِلُونَ » « وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ » (١) .

### تنزلات القرآن :

وقد جعل الله للقرآن الكريم ثلاث تنزلات :

١ - التنزيل الأول : إلى اللوح المحفوظ ودليله قول  
 الله تبارك وتعالى : « بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ  
 مَّحْفُوظٍ » (٢) . وكان هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت  
 لا يعلمها إلا الله . وكان جملة لا مفزلاً .

٢ - التنزيل الثاني : إلى بيت العزة في السماء الدنيا .  
 يدل على ذلك قوله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » (٣)

(١) سورة الزخرف ١ - ٤ . (٢) سورة البروج ٢١ - ٢٢ .

(٣) سورة القدر ١ .

وقوله : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ » <sup>(١)</sup> وقوله : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » <sup>(٢)</sup> تدل هذه الآيات على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة من ليالي شهر رمضان ، سميت بليلة القدر ، ووصفت بأنها مباركة ، ومعلوم بالأدلة القاطعة أن القرآن الكريم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرداً لا في ليلة واحدة ، فتعين أن يكون هذا النزول الذي نوهت به هذه الآيات الثلاث نزولاً آخر غير النزول على النبي . وقد جاءت الأخبار الصحيحة مبينة للنزول في بيت العزة من السماء الدنيا ، وكلها موقوفة على ابن عباس ، غير أن لها حكم المرفوع إلى الرسول . من ذلك ما أخرجه الحاكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : « فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم » .

وهناك أقوال أخرى بمعزل عن التحقيق ، منها : أن

---

(١) سورة الدخان ٣ . (٢) سورة البقرة ١٨٥ .

القرآن نزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر ،  
ينزل في كل ليلة قدر منها ما يقدر الله إنزاله في كل سنة .  
ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة على النبي . ومنها  
أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجماً  
في أوقات مختلفة ، وكان صاحب هذا القول ينفي النزول  
جملة إلى بيت العزة . ومنها أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة  
واحدة ، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة ،  
وأن جبريل نجمه على النبي في عشرين سنة .

٣ - التنزيل الثالث : وهو المرحلة الأخيرة التي أضاء  
نورها العالم بواسطة جبريل أمين الوحي عليه السلام ، هبط  
به على قلب النبي صلى الله عليه وسلم .

والوحي يكون على أنواع : فمنه ما يكون مكالمة بين  
العبد وربّه كما كلم الله موسى تكليماً . ومنه الإلهام الذي  
يقذفه الله في قلب نبيه على وجه من العلم لا يشك فيه ولا  
يرتاب . ومنه ما يكون رؤيا صادقة تقع وتتحقق ، ومنه

ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل . ووحى القرآن كله من هذا الصنف الأخير وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي « نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » (١) .

وكان لنزول الوحي على النبي طريقتان :

- ١ - أن يأتيه مثل صلصلة الجرس فيفصم عنه وقد وعى ما قال . تقول عائشة رضي الله عنها تصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليتفصد عرقاً » .
  - ٢ - أن يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه فيعي ما يقول .
- أما كيف أخذ جبريل القرآن ، فهذا من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا الله .

أول ما نزل من القرآن :

ولمعرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل فوائد

---

(١) سورة الشعراء ١٩٣ - ١٩٥ .

منها :

١ - تمييز الناسخ من المنسوخ .

٢ - معرفة تاريخ التشريع الإسلامي ، ومراقبة سيره التدريجي ، والوصول من ذلك إلى حكمة الإسلام وسياسته في أخذه الناس بالرفق والبعد بهم عن الطفرة .

٣ - إظهار مدى العناية التي أحيط بها القرآن الكريم حتى عرف فيه أول ما نزل وآخر ما نزل كما عرف مكيه ومدنيه وغير ذلك .

وإن كنا لن نذكر هنا أول ما نزل وآخر ما نزل في كل شأن من تعاليم الإسلام فهذا مجهود كبير ، إنما الميسور في هذه العجالة أن نذكر أول ما نزل من القرآن على الإطلاق وآخر ما نزل منه على الإطلاق كذلك .

فكان أول ما نزل من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ

بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (١) . وورد بهذا  
 أحاديث صحيحة خرجها البخاري ومسلم والحاكم والبيهقي  
 والطبراني . وكان ذلك بغار حراء خارج مكة في السابع  
 عشر من شهر رمضان سنة واحد وأربعين من ميلاد الرسول  
 صلى الله عليه وسلم ، فقد ولد النبي في سنة ٥٧١ م ووافق  
 بدء نزول الوحي سنة ٦١١ م . وهذا هو أصح الأقوال الذي  
 تطمئن إليه النفس .

وقد ورد غير ذلك أقوال أخرى نجملها فيما يلي :

٢ - أن أول ما نزل من القرآن « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » .

وورد في ذلك رواية عن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف  
 خرجها الشيخان وهي رواية ليست نصاً فيما نحن بسبيله من  
 إثبات أول ما نزل من القرآن بل تحتل أن تكون عما نزل  
 بعد فترة الوحي .

٣ - سورة الفاتحة كانت أول ما نزل ، ويستدل

أصحاب هذا الرأي بحديث مرسل سقط من سنده الصحابي

(١) سورة العلق ١ - ٥ .

ورواه البيهقي ولم يقل بهذا القول إلا عدد أقل من القليل.

آخر ما نزل من القرآن :

وآخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » وكان ذلك بمنى يوم الحج الأكبر في التاسع من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة الموافقة للسنة الثالثة والستين من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك سنة ٦٣٣ م. وبذلك تكون فترة الوحي بين مبدأ التنزيل ومنتهاه ٢٢ سنة وشهرين و ٢٥ يوم .

إلا أن آخر ما نزل من القرآن مختلف فيه كذلك . واستند كل صاحب رأي إلى آثار ليس فيها حديث مرفوع إلى النبي ، فكان هذا مدعاة لكثرة الاختلاف . من ذلك :

١- أن آخر ما نزل: « وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (١) .

(١) البقرة ٢٨١ .

وعاش النبي بعدها تسع ليال، ثم مات لليلتين خلتا من ربيع  
الأول . والآية من سورة البقرة .

٢ - أن آخر ما نزل « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ  
بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ » (١) .

٣ - أن آخر ما نزل « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ » (٢) .

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بما قاله السيوطي  
من أن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف  
لأنها في قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما أنزل بأنه آخر .  
ويبدو أن سبب الاختلاف في هذا الأمر أن جميع ما  
ورد من أقوال في هذا الصدد ليس مرفوعاً إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم ، وقال كل باجتهاده وغلبة ظنه ويحتمل أن كلا  
منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ، وإن كان لا يعني أنه  
آخر ما أنزل .

(٢) البقرة ٢٧٨ .

(١) البقرة ٢٨٢ .

ولكن الرأي الأول القائل بأن آية « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » هي آخر ما نزل هو الأرجح ، لأن الظاهر أن إكمال الدين لا يكون إلا بإكمال نزول القرآن وإتمام جميع الفرائض والأحكام .

### كيفية النزول :

١ - كانت الآيات في الغالب تنزل جواباً لحوادث تحدث . من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل مرثداً الغنوي إلى مكة لإخراج فئة من المسلمين المستضعفين فعرضت امرأة من المشركات نفسها عليه ليخطبها ، وكانت ذات مال وجمال ، فأعرض عنها خوفاً من الله ، فألحت عليه فقبل ، ولكنه شرط قبوله بموافقة الرسول . فلما رجع إلى المدينة وعرض على الرسول قضيته نزل قوله تعالى : « وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُوْمِنَ وَلَا مَؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ

يَوْمُنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ  
أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّٰهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ  
وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ» (١) .

وقف محمد صلى الله عليه وسلم على الصفا يهتف: يا معشر  
قريش . قالت قريش محمد على الصفا يهتف، فاجتمعوا إليه .  
قال: أرايتم لو أخبرتم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم  
تصدقوني؟ قالوا نعم أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك  
كذباً قط . قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فصاح  
به أبو لهب : تبا لك سائر هذا اليوم ، ألهذا جمعتنا ! فنزل  
قوله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ  
مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » (٢) . وهكذا  
نزلت أكثر آيات القرآن .

٢ - كانت الآيات تنزل جواباً عن أسئله، وهذه واضحة

(٢) سورة اللهب ١ - ٣

(١) سورة البقرة ٢٢١ .

ظاهرة في القرآن مثل قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ  
الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ » (١) .

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلِ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ  
ذِكْرًا » (٢) .

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنْتَ  
مِنْ ذِكْرَاهَا » (٣) .

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلِ فِيهِمَا إِثْمٌ  
كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا .  
وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ  
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » (٤) .

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلِ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ » (٥) .

---

(١) سورة الأنفال ١

(٢) سورة الكهف ٧٣

(٣) سورة النازعات ٤٢

(٤) سورة البقرة ٢١٩

(٥) سورة البقرة ٢٢٠

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ » (١) .

« يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ » (٢) .

وهكذا نزل كثير من آيات القرآن الكريم .

٣ - وأحياناً كانت الآيات تنزل ابتداءً وقليل ما كان

يحدث هذا .

وكانت الآيات تنزل تباعاً خمس آيات وعشر آيات ، وأكثر من ذلك وأقل . وقد صح نزول عشر آيات في قصة الإفك جملة ، وصح نزول عشر آيات من أول سورة المؤمنين جملة ، وصح نزول « غير أولي الضرر » وحدها في قوله تعالى : « لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ

---

(٢) سورة النساء ١٧٦

(١) سورة البقرة ٢١٧

أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ» (١) .

### أسباب التنزيل منجماً :

أنزل الله القرآن جمذه إلى السماء الدنيا ، ثم فرقه على  
النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من عشرين سنة على النحو  
الذي ذكرنا . وقد كانت الكتب السماوية من قبل تنزل  
جملة واحدة .

وكان تنزيل القرآن منجماً - أي مفرقاً على دفعات -  
مثار اعتراضات من المشركين « وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ  
الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً ، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ  
وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » . ولكن هذه الاعتراضات مردودة ،  
لأن تنزيل القرآن منجماً أسباب ودواعي نجلها فيما يلي :  
١ - تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سررة النساء ٩٥ .

( أ ) لأن في تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به ،  
تسرية للنبي ، فيتجدد في كل مرة . وفي تعهد الله لرسوله  
عند اشتداد الخصام بينه وبين أعدائه ما يهون عليه الشدائد .  
( ب ) في التنجيم تيسير على الرسول في حفظ القرآن  
وفهمه .

( ج ) في كل مرة من مرات النزول المنجم معجزة  
جديدة غالباً ، حيث تحداهم كل مرة أن يأتوا بمثل نوبة من  
نوبات التنزيل .

( د ) في تنزيل القرآن منجماً تكررراً للذة فوزه صلى  
الله عليه وسلم وإفحامه لأعدائه .

هذه الوجوه الأربع هي مضمون قوله تعالى « كَذَلِكَ  
لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ » .

٢ - في القرآن الكريم رد على المشركين في أسئلتهم  
وجدالهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتصحيحات  
لحوادث سلفت فهذه لا يستساغ أن تنزل إلا في مناسباتها

ولو أن القرآن أنزل دفعة واحدة لفقد هذه الميزة. فنزول القرآن الكريم منجماً على هذه الصورة يساير الحوادث في تجدها وتفرقها :

( أ ) لإجابة السائلين على أسئلتهم .

( ب ) لمجاراتة القضايا والوقائع في حينها ببيان حكم الله فيها .

( ج ) للفت أنظار المسلمين إلى تصحيح أخطائهم

وإرشادهم إلى الصواب في الوقت نفسه .

( د ) لكشف حال المنافقين للنبي صلى الله عليه وسلم

وللمسلمين لياخذوا حذرهم وليتوب منهم من يشاء .

هذه الحكمة بوجوهها الأربع تدرج تحت قوله تعالى :

« وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا » .

٣ - ردود القرآن على المشركين بنزوله على دفعات بمثابة

ضربات للمشركين ، فإذا توالى الضربات في جولات كان

ذلك أبلغ في التهذيب .

٤ - التدرج في تربية الأمة الناشئة علماء وعملاً :

( أ ) بتيسير حفظ القرآن على أمة أمية كالعرب ، فلو  
نزل جملة لعجز المسلمون الأول عن حفظه .

( ب ) لتسهيل فهمه عليهم .

( ج ) التدرج في انتزاع العقائد الباطلة والعبادات  
المرذولة بترويض الأمة على هذا التخلي شيئاً فشيئاً بسبب  
نزول القرآن تدريجاً ، فكلمنا نجح في هدم باطل انتقل بهم  
إلى هدم باطل غيره حتى طهرهم من رجزم وهم لا يشعرون  
بإرهاق ، وهذا هو السبيل لتربية أمة عنيدة تتحمس  
لموروثاتها .

( د ) التدرج في غرس العقائد الحقة والعبادات  
الصحيحة والأخلاق الفاضلة .

فالتشريعات الجديدة المخالفة لعادات الناس يلزم التمهيد  
لها والتدرج في فرضها حتى تتقبلها النفوس بقبول حسن .  
وفي القرآن تشريعات نزلت على خطوات نفسية مناسبة  
لتمشى مع عادات البشر ، ولو أنها نزلت دفعة واحدة

لشعروا بثقلها ووطأتها عليهم لأن المصلح لا ينبغي أن يظهر تشريعاً قبل تهيمته الجو لذلك .

(هـ) تثبتت قلوب المؤمنين وشد أزرهم بفضل قصص الأنبياء السابقين وما تعرضوا له من محن وابتلاءات مما جاء به القرآن الكريم مرة بعد أخرى على فترات متفاوتة .

وهذه الحكمة بوجوهها الخمسة هي مضمون قوله تعالى :  
« وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ » (١) .

٥ - في القرآن معاني عمد إلى تكرارها حتى تتأثر به نفس السامع وهذا لا يتيسر إلا إذا نزل منجماً ليتمشى مع الدعوة كأن ينزل في أماكن مختلفة وأوقات متباينة ومناسبات متفرقة .

٦ - بيان أن القرآن كلام الله وحده لأنه من أوله إلى آخره محكم السرد متين الأسلوب على نسق واحد آخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته معجز كله من ألفه إلى يائه ، وجاء أوله موالياً لآخره ، وهذا لا يتسق لكتاب لم يتنزل جملة واحده بل في مدى أكثر من عشرين عاماً « وَلَوْ كَانَ

(١) سورة الإسراء ١٠٦ .

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ اُخْتِلَافًا كَثِيرًا .  
 فالقرآن خارق للعادة من هذه الناحية . وكان الرسول إذا  
 نزلت آية أو آيات قال « ضعوها في مكان كذا من سورة  
 كذا » وهو بشر لا يدري ما ستجيء به الأيام وما سينزل  
 الله فيها فتمضي السنون الطويلة والرسول على هذا العهد ثم  
 إذا القرآن كله يكمل ويتم ويعجز الخلق طرأ « كِتَابٌ  
 أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ » .  
 يقول الزرقاني في مناهل العرفان : خذ مثلاً حديث  
 النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما هو في روعته وبلاغته  
 وطهره وسموه . لقد قاله الرسول في مناسبات مختلفة لدواع  
 متباينة في أزمان متطاولة . فهل في مكنتك ومكنة البشر  
 معك أن ينظموا من هذا السرد الشتيت وحده كتاباً واحداً  
 يصقله الاسترسال والوحدة من غير أن ينقصوا منه أو  
 يزيّدوا عليه أو يتصرفوا فيه . اهـ .

# أسباب النزول

معنى أسباب النزول :

سبب النزول هو الحادث الذي نزلت الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه موضحة لظروف إنزالها . فهي أشبه شيء بالمذكرات التفسيرية في التشريع الحديث .

فهل معنى هذا أن يكون لا بد لكل آية سبب نزلت من أجله بمعنى أن ننتظر أن تكون أسباب النزول بعدد آيات القرآن ؟ سبق أن ذكرنا تحت عنوان «كيفية النزول» أن نزول الآيات كان له كيفيات ثلاث . الأولى : أن تنزل جواباً عن حوادث ، والثانية أن تنزل جواباً عن أسئلة ، والثالثة : أن تنزل ابتداء بدون حادث أو سؤال . ونضيف هنا أن هناك ضربان من الآيات :

١ - ضرب يتحتم فيه معرفة سبب النزول مثل آيات الأحكام للزوم معرفة سبب النزول لتحقيق البحث في هذه الأحكام للوصول إلى معرفة أصول التشريع ؛ لأن معرفة

السبب تساعد على معرفة وجه الحكمة الباعثة على التشريع  
ولبيان تخصيص الحكم أو نسخه ، وبذلك يتنافى التعارض  
الظاهري في القرآن .

٢- ضرب لا يتحتم فيه معرفة السبب مثل آيات القصص،  
فإن أغلبها نزل من غير سبب خاص . ولا يؤخذ من هذا  
أن جميع آيات القصص لا يتحتم الرجوع فيها إلى معرفة  
السبب، فهناك بعض القصص لا يفهم إلا إذا عرف السبب،  
مثل آيات الإفك وقصة الخضر مع موسى في سورة الكهف.  
ومما لا يتحتم في فهمه معرفة السبب قصص الأمم الغابرة لأنها  
واردة للعبارة والعظة . ولذلك يلاحظ أن قصص الأمم  
البائدة بها تكرار مثل قصة موسى وإبراهيم . كذلك لا يتحتم  
معرفة أسباب النزول في آيات العبادة والزجر والوعيد  
والوعيد والموعظة والإرشاد والأمر والنهي مثل قوله  
تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ  
فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ » .

## حكمة معرفة أسباب النزول :

أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن لدليلين :

١ - لمعرفة مقتضى الحال الذي هو مدار علم المعاني والبيان وبهما يعرف إعجاز نظم القرآن . فالكلام الواحد يختلف فهمه بحسب الأحوال أو بحسب المخاطبين أو بغير ذلك . فالاستفهام مثلاً لفظه واحد وإنما يحتمل معاني كثيرة من تقرير أو توبيخ أو إنكار ، والأمر مثلاً يدخله الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهاها .

٢ - معرفة أسباب النزول رافعة لكل مشكل من هذا القبيل فهي مهمة في فهم الكتاب . وجهل سبب النزول موقع للاشتباه والإشكال . قال الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها » .

## طريق معرفة سبب النزول :

الطريق الوحيد لمعرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح . فإن روي سبب النزول عن صحابي فهو مقبول

وإن لم يعزز برواية أخرى تقويه ، وحكمه حكم المرفوع<sup>(١)</sup>  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه يبعد كل البعد بل يستحيل  
أن يقول الصحابي ذلك من تلقاء نفسه على حين أنه خبر  
لا مرد له إلا السماع والنقل أو السماع والرؤية . أما إذا  
روي سبب النزول بحديث مرسل سقط من سنده الصحابي  
وانتهى إلى التابعي فحكمه أنه لا يقبل إلا إذا صح برسل<sup>(٢)</sup>  
آخر وكان الراوي له من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة  
كمجاهد وعكرمة وسعيد بن المسيب والحسن البصري  
وعطاء وقتادة والضحاك .

### التعبير عن سبب النزول :

تختلف العبارات التي ترد للتعبير عن سبب النزول ،  
فأحياناً يصرح فيها بلفظ السبب فيقال سبب نزول الآية

---

(١) الحديث المرفوع هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة  
أو هو ما أخبر به الصحابي عن فعل النبي أو قوله .  
(٢) الحديث المرسل هو ما سقط من سنده الصحابي ورواه تابعي كبير  
والمرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدثين .

كذا ، وأحياناً يؤتى بفاء داخلة على كلمة النزول أو ما في محلها عقب سرد حادثة كأن يقال حدث كذا وكذا فنزلت آية كذا وأحياناً يُسأل الرسول فيوحي إليه ويحيب بما نزل عليه فتفهم السببية قطعاً من المقام . كل هذا يعتبر نصاً في سبب النزول لا يحتمل غيره، أما إذا قيل نزلت هذه الآية في كذا، فهذه العبارة ليست نصاً في السببية بل تحتملها وتحتمل أمراً آخر هو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام، والقرائن وحدها هي التي تعين أحد هذين الاحتمالين أو ترجحه .

تعدد أسباب النزول لنازل واحد :

قد تجيء روايتان في سبب نزول آية من القرآن ، فإذا كانت إحدى الروايتين صحيحة والأخرى غير صحيحة أخذ بالصحيحة وردت الأخرى . أما إذا كانت الروايتان صحيحتين وإحدهما مرجح أخذنا في بيان السبب بالراجحة دون المرجوحة . والمرجح أن تكون إحدهما أصح من الأخرى أو أن يكون راوي إحدهما مشاهداً للقصة دون

راوي الأخرى . أما إذا استوت الروايتان في الصحة ولا  
 مرجح لإحدهما ويمكن الجمع بينهما بأن كلاً من السببين  
 حصل ونزلت الآية عقب حصولهما معاً لتقارب زمنيها ،  
 فالحكم هنا أن نحمل الأمر على تعدد السبب لأنه الظاهر ولا  
 مانع يمنعه . قال ابن حجر : لا مانع من تعدد الأسباب . أما  
 إذا استوت الروايتان في الصحة دون مرجح لإحدهما مع  
 استحالة الأخذ بهما معاً لبعده الزمن بين الأسباب فحكمها  
 أن نحمل الأمر على تكرار نزول الآية بعدد أسباب النزول  
 التي تحدثت عنها الروايتان لأنه إعمال لكل رواية ولا مانع  
 منه . قال الزمخشري في البرهان : قد ينزل الشيء مرتين  
 تعظيماً لشأنه وتذكيراً عند حدوث سببه خوف النسيان .  
 وكما قد يكون للآية الواحدة أكثر من سبب واحد  
 لنزولها فكذلك قد يكون الأمر الواحد سبباً لنزول آيتين  
 أو آيات متعددة .

## فوائد معرفة أسباب النزول :

- ١ - معرفة حكمة الله تعالى فيما شرعه بالتنزيل ،  
خصوصاً إذا لاحظنا سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع  
واحد ، كتحرим الخمر .
- ٢ - دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهرة الحصر .
- ٣ - معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه  
بغيره فيتهم البريء ويبرأ المريب مثلاً .
- ٤ - تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في  
ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها ، وذلك لأن ربط  
الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص  
والأزمنة والأمكنة كل أولئك من دواعي تقرير الأشياء  
في الذهن وتسهيل استذكارها .

## جمع القرآن وتدوينه

كان النبي صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب .  
وقد ذكر هذا في القرآن الكريم فقال تعالى « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو  
مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَنَّكَ تَابِ  
الْمُبْطِلُونَ » وقال : « فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ  
الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » .

كذلك اتسمت الأمة العربية بالأمية وتحدث القرآن  
الكريم عن هذا فقال : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا  
مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » (١) .

ولم يشذ عن هذا القول إلا أفراد قلائل من قريش تعلموا  
الخط ودرسوه قبيل الإسلام . أما أهل المدينة فكان بينهم أهل

(١) سورة الجمعة ٢ .

الكتاب من اليهود ، ودخل النبي المدينة وفيها يهودي يعلم الصبيان الكتابة وكان فيها بضعة عشر رجلاً يحدقون الكتابة، وتعلم زيد بن ثابت كتابة اليهود بأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم جاء الإسلام فحارب فيما حارب أمية العرب فكان من أول ما أنزل «إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» (١) و«ن . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» (٢) وجعل الرسول فداء أسرى بدر أن يعلم كل منهم عشرة من أصحابه الكتابة والخط وبذلك بددت أنوار الإسلام ظلمات الأمية شيئاً فشيئاً .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتحمل القرآن من الملك حفظاً ثم يأمر كاتباً أن يكتبه بين يديه على عسيب ( وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف

(١) سورة العلق ٣ - ٥ . (٢) سورة القلم ١ - ٢ .

العريض وجمعها عسب ) أو لحف ( جمع لحفة وهي الحجارة الرقيقة أو صفائح الحجارة ) أو رقعة . وكان له كتاب معروفون ، قيل إن عددهم ست وعشرون ، وقيل اثنان وأربعون ، وقيل غير ذلك وأشهرهم الخلفاء الأربعة وعامر ابن فهيرة وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والزبير بن العوام ، كذلك كانوا أحياناً يكتبون الوحي ابتداء من أنفسهم دون أن يكلفهم الرسول بذلك . وكان هذا المكتوب يوضع في بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ويكتب الكتاب لأنفسهم نسخة منه ويدلهم الرسول على موضع كل ما ينزل من الآيات من سوره .

كذلك كان يتلوه على المسلمين فيحفظوه عن ظهر قلب . فكانت حافظة الأميين وصحف الكاتبين والصحف التي في بيت الرسول كلها تتعاون على حفظ ما أنزل الله ، ولم يجمع القرآن في مصحف في هذا العهد وإن كان من الصحابة من جمع القرآن كله حفظاً ، منهم : عبدالله بن مسعود ، وسالم

ابن معقل مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعلي بن أبي طالب .

ثم لقي رسول الله ربه وولي الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يفكر أحد في جمع القرآن الكريم بين دفتين . فبقي القرآن هكذا في حياة النبي و عام بعد وفاته مسطوراً في القلوب مسجلاً كله على أجزاء متفرقة في نسخ تزداد كل يوم عدداً . وكان لزاماً أن يتطابق هذان المصدران تمام التطابق لأن القرآن الكريم كان منظوراً إليه برهبة اليقين إلى أنه كلام الله وكان كل خلاف فيه يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كي يزيله .

### الصحف والمصاحف :

في اللغة الصحف جمع صحيفة وهي القطعة من الورق أو الجلد يكتب فيها . أما المصحف فهو ما يجمع فيه الصحف فالملحوظ في معناه اللغوي دفتاه وهما جانباه أو

جلداه اللذان يتخذان جامعاً لأوراقه حافظاً لصحفه .

وفي الاصطلاح الصحف هي الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، وكانت سوراً مرتبة آياتها فقط كل سورة على حدة ولكن لم يترتب بعضها إثر بعض . أما المصحف فهو الأوراق التي جمع فيها القرآن مع ترتيب آياته وسوره جميعاً على الوجه الذي أجمعت عليه الأمة أيام عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

### صحف أبي بكر :

لما نشبت حروب الردة وكانت مذبة اليمامة التي اشتد فيها القتل وكان جل المحاربين فيها من الصحابة ومن حفاظ القرآن فاستشهد فيها مائتان وألف بينهم تسع وثلاثون من كبار الصحابة ومن حفاظ القرآن وقيل سبعون وقيل سبعمائة من أجلهم سالم بن معقل مولى أبي حذيفة؛ وكان قد قُتل عدد كبير آخر من الحفاظ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في حادث بئر معونة . فخاف عمر بن الخطاب رضي

الله عنه أن يموت أشياخ القراء كأبيّ وابن مسعود وزيد ،  
فأشار على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن وندبا لذلك  
زيد بن ثابت رضي الله عنه فجمعه غير مرتب السور بعد  
عناء شديد ونصب .

روى البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال : أرسل إليّ  
أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر: إن عمر  
أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى  
أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن  
إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن . قال أبو بكر :  
فقلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى  
شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر . قال زيد :  
وعنده عمر جالس لا يتكلم . فقال أبو بكر: إنك رجل  
شاب عاقل ولا تنتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه . فوالله لو كلفني

نقل جبل ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن .  
قلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه  
وسلم؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم أزل أراجعه حتى  
شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فقامت  
فتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب  
وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع  
خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع غيره « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ  
مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ  
بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ »<sup>(١)</sup>  
وقال ابن شهاب الزهري وجدها مع أبي خزيمة  
الأنصاري لا مع خزيمة .

وكانت الصحف التي أُجمع فيها القرآن في حيازة أبي  
بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،

(١) آية ١٢٨ - ١٢٩ .

ثم عهد بها إلى حيازة أم المؤمنين حفصة بنت عمر .  
هذا هو الجمع الأول للقرآن بدأه زيد بن ثابت رضي الله عنه  
في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وانتهى منه في  
عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يزد على  
أنه جمع ما عند المسلمين من انتساخ لأجزاء متفرقة من القرآن  
وما كان في صدور الحفاظ ، واستغرقت عملية الجمع هذه  
حوالي سنتين أو ثلاث . وقد امتازت هذه الصحف بميزات :  
١ - أنها جمعت القرآن كله على أدق وجوه البحث  
والتحري والتثبت العلمي .

٢ - أنها اقتصر فيها على ما لم تنسخ تلاوته .

٣ - أنها ظفرت بإجماع الأمة عليها وتواتر ما فيها .

### مصاحف الصحابة :

وكتب بعض الصحابة مصاحف من تلقاء أنفسهم .

كتبوها لأنفسهم . اختلفت ثلاثة مصاحف منها بالثقة ، وهي :

مصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ومصحف زيد

ابن ثابت . وكلهم قرأ القرآن وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم : عبد الله ابن مسعود قرأ بمكة وعرضه هناك . وأبي ابن كعب قرأ بعد الهجرة وعرضه في ذلك الوقت . أما زيد ابن ثابت فقرأه بعدهما وعرضه متأخراً عن الجميع وهو آخر عرض إذ كان في سنة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ووفق قراءته ، وقد ذكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه جمع مصحفاً لما رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي عليه الصلاة والسلام .

مصحف عثمان :

ذكر الطبري : وكان عمر بن الخطاب قد حضر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذن وأجل ، فشكوا ذلك فقال « ألا إني قد سننت لكم سن البعير ، يبدأ فيكون جذعاً<sup>(١)</sup> ثم ثنياً<sup>(٢)</sup> ثم رباعياً<sup>(٣)</sup> ثم سديساً<sup>(٤)</sup> ثم بازلاً<sup>(٥)</sup> ،

(١) الجذع من البعير ما كان في سن الخامسة .

(٢) الثني ما كان في سن السادسة . (٣) الرباعي في السابعة .

(٤) السديس في الثامنة . (٥) البازل في التاسعة .

ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ؟ ألا فإن الإسلام قد  
بزل، ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات  
دون عبادة، ألا فأما وابن الخطاب حي فلا. إني قائم دون شعب  
الحرّة آخذ بجلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار» اهـ.  
وانتشر الفتح والتوسع واستشهد الخليفة الثاني وتولى  
الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأباح ما حرم  
عمر وتفرق الصحابة في الأمصار واشتدوا في ذلك، وقرأ  
أهل كل مصر بقراءة من نزل بينهم من الصحابة والقراء،  
فاختلفوا في القراءات وعظم اختلافهم وتشبههم، فقرأ أهل  
دمشق عن المقداد بن الأسود، وقرأ أهل الكوفة عن عبد الله  
ابن مسعود، وقرأ أهل البصرة عن أبي موسى الأشعري، وقرأ  
كثير من أهل الشام بقراءة أبي بن كعب .

أخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق أبي قلادة  
أنه قال: « لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل  
والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون حتى ارتفع

ذلك إلى المعلمين حتى كَفَر بعضهم بعضاً فبلغ ذلك عثمان  
فخطب فقال : أنتم عندي تختلفون فمن نأى عني من  
الأمصار أشد اختلافاً .

واجتمع في غزوة أرمنيا أهل الشام وأهل العراق  
فاختلفوا في القراءة وتنازعوا وتلاعنوا ورمى بعضهم بعضاً  
بالكفر ، وكان معهم حذيفة بن اليمان الأنصاري رضي الله  
عنه ، فاشفق مما رأى ، فلما رجع إلى المدينة قصد إلى بيت  
عثمان بن عفان رضي الله عنه قبل أن يدخل بيته وقال له :  
« أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك ! قال في ماذا ؟ قال في  
كتاب الله .. ووصف له ما تقدم وقال إني أخشى عليهم أن  
يختلفوا كما اختلف اليهود والنصارى » .

فجمع عثمان المهاجرين والأنصار وجملة أهل الإسلام  
وشاورهم في الأمر وقال : ما ترون في المصاحف؟ فإن الناس  
قد اختلفوا في القراءة حتى أن الرجل ليقول قراءتي خير  
من قراءتك وقراءتي أفضل من قراءتك وهذا شبيهه بالكفر.

قالوا ما الرأي عندك يا أمير المؤمنين ؟ قال الرأي عندي أن يجتمع الناس على قراءة ، فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً. قالوا: الرأي رأيك يا أمير المؤمنين .

فأرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر يطلب منها الصحف لينسخها في المصاحف بعد عرض قراءات البلاد للمرة الأخيرة ، وعززه هذه المرة بثلاثة من القرشيين هم: عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن ابن الحارث بن هشام. وقال لهم عثمان: إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا. وجعلوا الصحف التي كانت عند حفصة إماماً في هذا الجمع الأخير . فلما أتموا ذلك نسخوا من المصحف عدة نسخ ، ورد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في الصحف والمصاحف فحرق . وتم هذا الجمع الثاني سنة ٢٥ هجرية . وقد وردت بعض الروايات أن الذين نـدبوا لنسخ

المصاحف كانوا اثني عشر رجلاً وما كانوا يكتبون شيئاً إلا بعد أن يعرض على الصحابة ويقرؤا أن الرسول قرأ على هذا النحو الذي نجده الآن في المصاحف .

وفي قول آخر أن زيد بن ثابت جمع القرآن في المرة الثانية كما جمعه في المرة الأولى ثم قارن الجمع الثاني بالجمع الأول من الصحف التي عند حفصة فوجده مطابقاً لها تمام التطابق .

وبقيت الصحف عند حفصة بعد أن أعادها إليها عثمان حتى توفيت ، فأرسل مروان والي المدينة إلى عبدالله بن عمر في شأن الصحف ليبعث بها إليه فأرسلها له فغسلت غسلًا ثم حرقت وكان مروان قد طلبها من حفصة رضي الله عنها من قبل فآبت . وقد غضب عبد الله بن مسعود وكره أن يندب زيد لنسخ المصاحف ويترك هو ، فقال يا معشر المسلمين : أعزل من نسخ المصاحف ويتولاه رجل ، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر ! ولم يكن اختيار زيد بن ثابت لجمع القرآن في خلافة أبي بكر وكذلك في خلافة عثمان لأفضليته

على عبدالله بن مسعود ، فابن مسعود أقدم في الإسلام وأكثر  
سوابق وأعظم فضائل ، ولكن زيدا كان أحفظ للقرآن من  
ابن مسعود ، فقد حفظه ووعاه في حياة الرسول صلى الله عليه  
وسلم ، أما ابن مسعود فقد حفظ في حياة الرسول أكثر من  
سبعين سورة ثم تعلم الباقي بعد وفاته . وبهذا قدم زيد على  
ابن مسعود في جمع القرآن ونسخه ، وليس في هذا طعن  
أو انتقاص من ابن مسعود . وقال بعض الأئمة : إن ابن مسعود  
مات ولم يحفظ القرآن كله - قال القرطبي : هذا فيه نظر .  
وما نحسب أن ابن مسعود يغضب هذه الغضبة لتولي غيره  
جمع القرآن إلا أن يكون حافظاً واعياً له كله .

ثم عاد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخيراً إلى  
حظيرة الجماعة حين ظهرت له مزايا المصاحف العثمانية  
 واجتماع الأمة عليها وتوحيد الكلمة بها .

وحدث في هذا الجمع الثاني ما رواه البخاري عن زيد بن  
ثابت قال : لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من  
سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم

أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري، الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ» ، فألحقها رضي الله عنه بسورتها . وقيل وجدها مع أبي خزيمة .

وكانوا يختلفون في الآية فيقولون أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان ابن فلان ، فعسى أن يكون من المدينة على ثلاث ليال فيرسل إليه فيجاء به ، فيقال : أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا ؟ فيكتبون كما قال . أخرج البخاري والترمذي عن ابن شهاب قال : واختلفوا يومئذ في التابوت ، فقال زيد التابوه ، وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص التابوت ، فرجع اختلافهم إلى عثمان ، فقال اكتبوه بالتاء فإنه بلسان قريش فأثبتوه بالتاء .

وقد امتازت المصاحف العثمانية بأنها :

١ - اقتصر على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت

روايته آحاداً .

٢- أهملت ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرصة الأخيرة .

٣- رتبت السور والآيات على الوجه المعروف الآن بخلاف

صحف أبي بكر التي كانت مرتبة الآيات دون السور .

٤- كتبت بطريقة جمعت وجوه القراءات المختلفة ،

والأحرف التي نزل عليها القرآن على ما سيأتي شرحه .

٥- جردت من كل ما ليس قرآناً ، كالذي كان يكتبه

بعض الصحابة في مصاحفه الخاصة شرحاً لمعنى أو بياناً

لناسخ أو منسوخ .

### رسم المصحف :

المراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان في كتابة

كلمات القرآن وحروفه : والأصل في المکتوب أن يوافق

المنطوق تماماً من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تغيير ،

ولكن المصاحف العثمانية أهملت هذه القاعدة فوجدت بها

حروف كثيرة جاء رسمها مخالفاً لأداء النطق .

وقد ألف بعض العلماء مصنفات في حصر كلمات القرآن التي جاء خطها على غير منطوقها ، مثل المقنع للإمام أبي عمرو الداني، وعنوان الدليل في رسوم خط التنزيل للعلامة أبي عباس المراكشي ، ونظم الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولي أرجوزة سماها اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من الرسوم، ثم شرحها الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ المقارئ بالديار المصرية وذيل الشرح بكتاب سماه مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن .

### قواعد رسم المصحف :

ولمصحف عثمان قواعد في خطه ورسمه ، تنحصر في ست قواعد وهي :

١ - الحذف : وفيه قواعد حذف الألف في مثل «يايها» وغيرها ، وحذف الياء من مثل «أطيعون» وحذف الواو واللام .

٢ - الزيادة : مثل زيادة ألف بعد واو الجماعة وغيرها .

٣ - الهمز : وخلصتها أن الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها مثل « أئذن - البأساء » إلا ما استثني . أما الهمزة المتحركة فلها قواعد أخرى .

٤ - البدل : خلاصتها أن الألف تكتب واواً للتفخيم في مثل الصلاة والزكاة والحياة إلا ما استثني ، وترسم ياء إذا كانت منقلبة عن ياء مثل يتوفاكم ويا أسفا . وفي بعض كلمات أخرى مثل إلى وعلى . وترسم النون ألفاً في نون التوكيد الخفيفة وفي كلمة « إذن » وغير ذلك .

٥ - الوصل والفصل : خلاصتها أن كلمة (أن) توصل بكلمة ( لا ) إذا وقعت بعدها ، إلا ما استثني . ووصل (من) بكلمة ( ما ) إذا وقعت بعدها ، إلا ما استثني ، وغير ذلك كثير فتوصل ( نعماً وربما وكانما وويكان ) .

٦ - ما فيه قراءتان : وخلصتها أن الكلمة إذا قرأت على وجهين تكتب برسم أحدهما كما رسمت : (مالك يوم الدين .

ويخادعون الله . وواعدنا موسى . تفادوهم ) ونحوها بدون ألف، وكلها مقروءة بإثبات الألف وحذفها. كما كتبت «غِيَابَةَ الْجُبِّ . أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً . ثَمَرَةٌ مِنْ أَكْمَامِهَا » بالتاء المفتوحة .

هذه عجالة واختصار لإعطاء فكرة سريعة فمن شاء التوسع في هذا الباب فليرجع إلى إحدى المراجع المذكورة آنفاً أو إلى « مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني » .

### مزايا الرسم العثماني :

للرسم العثماني مزايا لا تتوفر لغيره نجملها فيما يلي :

١ - الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة قدر الإمكان ، فقد لوحظ في قاعدة الرسم أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر ، فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم

على الحرف الذي هو الأصل . وإذا لم يكن في الكلمة إلا  
قراءة واحدة رسمت بحرف الأصل .

٢ - إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة  
مثل فصل كلمة (أم) في قوله : « أم من يكون عليهم وكيلا »  
ووصلها في قوله تعالى : « أم من يمشي سوياً على صراط  
مستقيم » فإنها تكتب ( أمن ) . ففصل الأولى في الكتابة  
للدلالة على أنها أم المنقطعة بمعنى بل ، ووصل الثانية للدلالة  
على أنها ليست كتلك .

٣ - الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة  
كلمة ( أيدٍ ) من قوله تعالى « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ »<sup>(١)</sup>  
وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء . ومن هذا  
القبيل قوله « ويدع الإنسان » بحذف الواو من (فعل يدعو)  
للدلالة على أن هذا الدعاء سهل على الإنسان يسارع فيه كما

---

(١) الذاريات ٤٧ .

يسارع إلى الخير وكذلك حذفها من «وَيَمِحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ»<sup>(١)</sup> للإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله .

٤- الدلالة على أصل الحركة مثل كتابة الضمة واو آ في قوله «سأوريكم دار الفاسقين» ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف مثل الصلاة والزكاة إذ كتبتا ( الصلوة والزكوة ) ليفهم أن الألف فيها منقلبة عن واو .

٥- إثبات بعض اللغات الفصيحة مثل كتابة هاء التأنيث مفتوحة دلالة على لغة طيء ومثل قوله : «يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ»<sup>(٢)</sup> كتبت بحذف ياء ( يأتي ) للدلالة على لغة هذيل .

#### دستور عثمان في كتابة المصاحف :

كان دستور عثمان في المصاحف وهو ما تواضع عليه هؤلاء الصحابة الكتاب، ألا يكتبوا إلا ما تحققوا أنه قرآن وعلموا أنه استقر في العرصة الأخيرة وما أيقنوا صحته

---

(١) الشورى ٢٤ . (٢) هود ١٠٥ .

من النبي مما لم تنسخ تلاوته. وتركوا ما سوى ذلك نحو قراءة  
« فامضوا إلى ذكر الله » بدلاً من كلمة « فاسعوا » ونحو  
« وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا » بزيادة  
كلمة « صالحة ». يقول الزرقاني : وكتبوا عدة مصاحف  
متفاوتة في إثبات وحذف وبدل وغيرها لأنهم قصدوا  
اشتمالها على الأحرف السبعة ، وكانت بعض الكلمات يقرأ  
رسمها بأكثر من وجه عند تجردها من النقط والشكل مثل  
« فتبينوا » و « فتثبتوا » وهما قراءتان في قوله تعالى : « إن  
جاءكم فاسق بنياً فتبينوا » وكذلك قوله تعالى : « وانظر  
إلى العظام كيف ننشزها » بالزاي فإن تجردها من النقط  
يجعلها صالحة لأن تقرأ « نشزها » بالراء وهما قراءتان .  
أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النقط  
والشكل مع ورودها بقراءة أخرى أيضاً فإنهم كانوا  
يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة وفي بعض  
آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية مثل قراءة « تحتها

الأنهار» و « من تحتها الأنهار » . أما اللفظ الذي لا يختلف فيه وجوه القراءات فكانوا يرسمونه بصورة واحدة لا محالة، وكانوا يتحاشون أن يكتبوه بالرسمين في مصحف واحد خشية أن يتوهم أن اللفظ نزل مكرراً أو أن يكتبوا أحد اللفظين في الأصل والآخر في الحاشية لئلا يتوهم أن الثاني تصحيح للأول أو أنه ترجيح في حين أنه بلا مرجح . فكانت هذه الطريقة أدنى إلى الإحاطة بالقرآن على وجوهه كلها، حتى لا يكونوا قد أسقطوا شيئاً من قراءته أو منعوا أحداً من القراءة بأي حرف شاء على حين أنها كلها منقولة نقلاً متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول: « فأي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا » . انتهى ملخصاً .

هل رسم المصحف توقيفي<sup>(١)</sup> :

فيها آراء ثلاث :

الأول: أنه توقيفي لا تجوز مخالفته—وهو رأي الجمهور—

لأن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم كتبوا القرآن بهذا الرسم وأقرهم

(١) أي بنص وارد فلا يجوز مخالفته .

الرسول على كتابتهم. ثم جاء أبو بكر فكتب الصحف بهذا الرسم. ثم انتسخ عثمان تلك الصحف برسمها في المصاحف، وأقر الصحابة ما كتبه الكتاب وأبو بكر وعثمان، وانتهى الأمر إلى التابعين وتابعي التابعين فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم، ولم يرد أن أحداً منهم فكر في أن يستبدل به غيره حتى في عهد ازدهار التأليف ونشاط التدوين بقي الرسم العثماني محترماً متبعاً.

فخلاصة القول: أن الرسم العثماني ظفر بإقرار الرسول وإجماع الصحابة ثم إجماع الأمة والأئمة المجتهدين وأجمعت المذاهب الأربعة على ذلك، وبه قال النيسابوري والبيهقي والأدلة التي ساقها أصحاب هذا الرأي لا تدل على تحريم كتابة القرآن بغير هذا الرسم إذ ليس فيها زجر الإثم ووعيده ولا نهي الحرام وتهديده.

الثاني: أن رسم المصحف اصطلاحى فيجوز مخالفته وهو رأي ابن خلدون ووافقه القاضي أبو بكر - لأنه لم يرد

ما يفرض على الكتاب رسماً معيناً ، وهذا أمر لا يجب أن يدرك إلا بالسمع والتوقيف ، وليس في نصوص الكتاب ولا السنة ولا إجماع الأمة ما يوجب ذلك ولا دلت عليه القياسات الشرعية وفي الرأي الأول ردود على هذا .

الثالث : أنه يجوز - بل يجب - كتابة المصحف الآن

للعامة على الإصطلاحات الشائعة بينهم ولا تجوز كتابته بالرسم العثماني كيلا يوقع في تغيير من الجهال . ولكن يجب في الوقت نفسه الاحتفاظ بالرسم العثماني كأثر نفيس عن سلفنا الصالح . وهذا رأي الشيخ عز الدين عبد السلام .

ونرى أرجحية الرأي الأول لما سبق مضافاً إليه ما يأتي :

١ - أن مصطلح الخط والكتابة في عصرنا عرضة للتغيير

والتبديل ، ومن تقديس القرآن حمايته من التغيير والتبديل في رسمه .

٢ - أن إخضاع المصحف لمصطلحات الخط الحديثة

ربما يجر إلى فتنة أشبه بالفتنة التي حدثت أيام عثمان ، فيقال

رسمي خير من رسمك ، ومصحفي خير من مصحفك .

٣ - الرسم العثماني هو الرسم العام الذي يجمع الأمة على كتابة القرآن في كل الأعصار والأمصار فما يكون لنا أن نفرط في أمر يجمع هذا الشتات .

### انتساخ المصاحف :

وقد نسخ عثمان من مصحفه أربع نسخ أرسل منها إلى العراق والشام ومصر فاتخذها قراء الأمصار معتمداً ومرجعاً . وقيل نسخ سبعاً وقيل ثمانية وقيل ستة . ثم أمر بما سواها من المصاحف أن تحرق ( أو تُحَرَّق ) ثم تدفن . وكان ذلك بأمر عثمان رضي الله عنه وإجماع الأمة بالموافقة - قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا معشر الناس اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق المصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملاء منا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وفي قول آخر أن عمر بن الخطاب هو أول من بدأ جمع القرآن وليس أبوبكر وأنه كان يثبت الآية بشهادة شاهدين .

ولكن الثابت المقطوع به أن بدء الجمع كان في خلافة أبي بكر بمشورة عمر ، وأنه تم في خلافة عمر رضي الله عنه .  
ولما كان القرآن - وما زال - يعتمد في نقله على التلقي من صدور الرجال ثقة عن ثقة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لذلك اختار عثمان حفاظاً يثق بهم وأنفذهم إلى الأقطار الإسلامية واعتبر هذه المصاحف أصولاً ثواني مبالغتها في الأمر وتوثيقاً للقرآن وجمع كلمة المسلمين . فكان يرسل إلى كل مصر مع مصحفه ما يوافق قراءته في الغالب . فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمصحف المدني في المدينة وبعث عبدالله بن السائب مع المكي إلى مكة ، والمغيرة بن شهاب مع الشامي ، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي ، وعامر بن قيس مع البصري ثم نقل التابعون عن الصحابة وأجمعت الأمة - معصومة من الخطأ في إجماعها - على ما في هذه المصاحف .  
ثم أقبل المسلمون يجدون في إخراج المصاحف وانتساخها .  
روى المسعودي أنه رفع من عسكر معاوية في واقعة صفين

نحواً من خمسمائة مصحف ولم يكن بين جمع عثمان إلى يوم  
صفين سوى سبع سنوات . على أن المسعودي مؤلف أخبار  
يحتمل لها من كل وجه ، فروايته غير وثيقة .

### أين المصاحف العثمانية ؟ :

لا يقوم بين أيدينا دليل على وجود المصاحف العثمانية  
الآن . وما يقال عن المصاحف الأثرية الموجودة بجزائر الكتب  
والآثار بمصر من أنها مصاحف مما كتب عثمان فهو عار عن  
الصحة ، لأن بها زخرفة وتقوشاً وضعت كعلامات للفصل  
بين السور ولبيان أعشار القرآن ، وقد كانت المصاحف  
العثمانية خالية من هذا .

أما المصحف المحفوظ بجزارة المسجد الحسيني والمنسوب  
إلى عثمان فهو مكتوب بالخط الكوفي القديم مع تجويف حروفه  
وسعة حجمه . ورسمه يوافق رسم المصحف المدني أو الشامي  
حيث رسمت فيه كلمة « من يرتد » من سورة المائدة بدالين  
اثنين مع فك الإدغام وهو رسمها ، فمحتمل أن يكون

منقولاً من المصاحف العثمانية . والرأي للزرقاني .

### تحسين المصاحف :

كانت الكتابة العربية أيام النبي مخالفة في شكلها ورسمها عما هي عليه اليوم ، فلم يكن مجروفها دورانات ولم يكن عليها نقط ، وبذلك كانت تتشابه حروف كثيرة مثل الباء والتاء والثاء والنون والياء ، وكذلك الجيم والحاء والخاء ، وكذلك الدال والذال وهكذا .

وكان العرب بما جبلوا عليه من فصاحة وبلاغة ومعرفة باللغة يميزون هذا الاختلاف عند النطق إن تشابهت في الكتابة ، فلما دخل على اللسان العربي من ليس من العرب اقتضى الأمر بطبيعة الحال معالجة رسم الحروف المتشابهة منعاً للالتباس فوضعت النقط فوق الحروف . وامتدت يد التحسين إلى المصاحف مادياً وشكلياً من حيث النسخ والطبع والحجم والورق والتجليد وغير ذلك .

## الاعجام :

والمقصود به تنقيط الحروف . والمعروف أن المصحف العثماني لم يكن منقوفاً حتى تبقى الكلمة محتملة لأن تقرأ بكل ما يمكن من وجوه القراءات . ومختلف فيما إذا كان الإعجام معروفاً من قبل الإسلام وأن المصحف ترك عمداً من غير إعجام ، أو أنه لم يعرف إلا فيما بعد ، على أن إعجام المصاحف لم يعرف إلا في عهد عبد الملك بن مروان لما اختلط العرب بالعجم ، وبدأ اللبس في القراءة حتى شق على السواد من المسلمين أن يهتدوا إلى تمييز حروف المصحف وكلماته وهي غير معجمة .

فندب عبد الملك بن مروان الحجاج أن يعنى بهذا الأمر ، فكلف به نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني وكلاهما كفاء قدير على ما ندب له ، وهما تلميذان لأبي الأسود الدؤلي ، وقد نجحا في مهمتهما ، فأعجبا المصحف لأول مرة ونقّطا جميع حروفه المتشابهة ، والتمزا ألا تزيد النقط في

أي حرف على ثلاث . وانتشر ذلك في الناس فكان له أثره العظيم في إزالة اللبس والإشكال عن المصحف . ثم ألف الحجاج بواسط كتاباً في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط .

وقيل أن أبا الأسود الدؤلي أول من نقط المصحف ، وأن يحيى بن يعمر نقط مصحفاً لابن سيرين ، ويمكن الجمع بين القولين بأن أبا الأسود أول من نقط المصحف ولكن بصفة فردية ، ثم تبعه ابن سيرين ، وأن عبد الملك أول من نقطه بصفة رسمية عامة شاعت وذاعت بين الناس .

### شكل المصحف :

لم يكن تشكيل الحروف والكلمات كذلك معروفاً عند العرب أول عهدهم ، فلما دخل في الإسلام من غير العرب وانحرفوا باللغة عن إعرابها الصحيح ، أرسل زياد والي البصرة إلى أبي الأسود الدؤلي ليجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله فأبطأ عليه حتى سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى :

« وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » قرأ  
« رسوله » بجر اللام فصار معناها أن الله بريء من رسوله،  
وحاشا لله أن يتبرأ من رسوله ، فأفزع هذا اللحن الشديد  
أبا الأسود وقال عزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله، فذهب إلى  
زياد وقال له أجبتك إلى ما سألت ، وانتهى به اجتهاده إلى  
أن جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف والكسرة نقطة  
أسفله والضممة نقطة بين أجزاء الحرف ، وجعل علامة  
السكون نقطتين . ونهج الناس نهجه ، وامتد الزمان بهم  
فابتكروا حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف  
الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها على حسب ما قبلها  
من فتحة أو كسرة أو ضمة ، حتى جاء عبد الملك بن مروان  
وأراد أن يعجم المصحف، فاضطر أن يجعل النقط للاعجام  
وأن يتخذ للشكل أشكالاً ورسوماً جديدة، هي ما نعرفه  
اليوم من علامات الفتحة والكسرة والضممة والسكون .

وكان المسلمون في الصدر الأول يرون كراهة خلط المصحف  
بما ليس فيه ولو كان نقطاً أو شكلاً، ولكن لما تغير الزمان

اضطر المسلمون إلى إعجام المصحف وشكله محافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف ، فزال القول بكراهة الإعجام والشكل وحل محله القول بوجوبها واستحبابها . قال النووي في التبيان :

« قال العلماء : ويستحب نقط المصحف وشكله ، فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيحه . وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه » . وكان عند مالك مصحف لجدّه كتبه إذ كتب عثمان المصحف خواتمه من حبر على عمل السلسلة في طول السطر ( يعني هكذا ∞∞∞ ) معجوم الآي بالحبر . وكره إبراهيم النخعي كتابة فاتحة سورة كذا وكذا لقول ابن مسعود « لا تخلطوا في كتاب الله ما ليس فيه » . قال ابن رزين : أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه فيظنونونه من القرآن . على أن الأخبار كلها تؤذن أن التعشير والتخميس وفواتح السور ورؤوس الآي من عمل الصحابة ، قادم الاجتهاد إلى عمله ،

ومن كره ذلك إنما كره أن يعمل بالألوان كالحمرة والصفرة  
تنزيهاً لكتاب الله وحتى لا تشغل القارىء عن تدبر الآيات  
ومعانيها .

### تجزئة القرآن :

كانت المصاحف العثمانية مجردة من التجزئة ، فلما امتد  
الزمان بالناس وتفننوا في القرآن ، منهم من قسمه ثلاثين  
جزءاً بحيث لا يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة جزء إلا  
جزءاً من الثلاثين . ولعل الحكمة من هذا التقسيم تيسير ختم  
تلاوة المصحف في شهر . وطبع بعضهم كل جزء في نسخة  
مستقلة ، ومجموع النسخ الجامعة للقرآن كله يسمونه ربعة .  
ومن الناس من قسم الجزء إلى حزبين ، ومن قسم الحزب  
إلى أربعة أقسام وسموا كل قسم منها ربعا .

ومن الناس من وضع كلمة خمس عند نهاية كل خمس  
آيات من السورة ، وكلمة عشر عند نهاية كل عشر آيات  
منها ، فإذا انتهت خمس آيات أخرى وضعوا كلمة خمس

مرة أخرى ، وإذا تمت عشر أخرى وضعوا كلمة عشر ، وهكذا حتى نهاية السورة . ومنهم من اختصرها فوضع رأس خاء بدلاً من كلمة خمس ، ورأس عين بدلاً من كلمة عشر . ومنهم من رمز إلى رؤوس الآي برقم عددها من السورة أو من غير رقم . كما كتب بعضهم فواتح للسور كعنوان فيه اسم السورة وعدد آياتها ومكية أو مدنية . وفي هذا كلام كثير ، بين الجواز بکراهة ، والجواز بلا کراهة .

وختاماً لهذا الفصل نقول : إن العناية بلغت بكتابة القرآن وشكله ونقطه وتحزيبه وعده وإحصائه أن جمع الحجاج القراء والحفاظ والكتّاب فقال : أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو ؟ فحسبوا فأجمعوا على أنه ٣٤٠٧٤٠ أو ٣٢٣٠١٥ على قول آخر . ثم سألهم عن نصفه فإذا به ينتهي في سورة الكهف في فاء « وليتلطف » . ثم سألهم عن أثلاثه فإذا الثلث الأول رأس مائة من براءة ،

والثلث الثاني رأس مائة وإحدى من طسم الشعراء، والثلث الثالث ما بقي من القرآن . ثم سألمهم عن الأسباع فأخبروه بذلك . عملوه في أربعة أشهر . أما عدد كلماته فهو ٧٧ ٤٣٩ كلمة .

يقول الدكتور هيكل : « ... ومع ما أدى إليه مقتل عثمان من قيام شيع زعزعت وحدة العالم الإسلامي بعد ربع قرن من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد ظل للجميع قرآن واحد يظلمهم أجمعين ، بلغ من الحرص على العناية به أن وصلنا كاملاً حتى أننا لا نجد بين النسخ الكثيرة التي لا عداد لها المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي اليوم أي اختلاف » .

وإننا كمسلمين نسجلها بكل فخر أن ليس على وجه الأرض غير القرآن الكريم كتاب لبت أربعة عشر قرناً من الزمان بنص هذا مبلغ صفائه ودقته ، وصدق الله العظيم

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١) .

(١) الحجر ٩ .

## المكي والمدني

كما كانت هجرة الرسول حداً فاصلاً بين عهدين، كذلك كانت حداً فاصلاً في القرآن الكريم بين أسلوبين . فقد تغير بالهجرة حال المسلمين وأحوال المخاطبين كما تغير موضوع الرسالة كما تغيرت نفسية الرسول .

فأهل مكة كانوا يومذاك أهل شرك وعبادة أوثان وأهل رياسة وسيادة وعناد وغطرسة ، عقولهم في الدين مقفلة ، وطباعهم في الجدل جافة » قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ « (١) » وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ . وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا .

---

(١) سورة الزخرف ٢٣ .

وكان الرسول في مكة ضيق الصدر حزين النفس ، من المعارضة واستمرار العناد وتوالي الإيذاء لشخصه وللمسلمين وحرصه على نجاة المسلمين من قومهم . وصفه القرآن في مكة فقال «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ»<sup>(١)</sup> وقال « فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا »<sup>(٢)</sup> . وقال « لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »<sup>(٣)</sup> . وقال « قَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ »<sup>(٤)</sup> فصاحب هذه النفسية مشغول بنفسه لا يستطيع أن يتلقى تشريعاً ، ولذلك نجد في الآيات المكية كثيراً من آيات التسرية والترفيه عن الرسول بمثل قوله تعالى « ن . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »<sup>(٥)</sup> . « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ

(١) الحجر ٩٧ . (٢) الكهف ٦ . (٣) الشعراء ٣ .  
(٤) الأنعام ٢٣ . (٥) القلم ١ - ٤ .

إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَالْآخِرَةُ  
 خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى . وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى <sup>(١)</sup>  
 « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي  
 أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ  
 يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا <sup>(٢)</sup> » « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ  
 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ <sup>(٣)</sup> » طه .  
 مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى <sup>(٤)</sup> « وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ  
 رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا <sup>(٥)</sup> » .

أما نفسية الرسول في المدينة فهي غيرها في مكة . فقد  
 أصبحت المدينة ملجأ جماعة المسلمين ، وكان الرسول فيها  
 منصوراً مظفراً تحيط به جماعة المسلمين يدافعون عن  
 الدعوة وعنه ويفدونهم بأرواحهم . وكان جمهور المخاطبين  
 في المدينة في ذلك الوقت أربع طوائف :

(١) الضحى ١ - ٦ . (٢) الشرح ١ - ٦ . (٣) سورة الكوثر  
 (٤) طه ١ . (٥) الطور ٤٨ .

- ١ - المهاجرون : الذين فروا بدينهم من مكة .
- ٢ - الأنصار : الذين دخلوا الإسلام من سكان المدينة الأصليين .
- ٣ - المنافقون : وهم من لم يشأ أن يسلم من أهل المدينة فأظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر .
- ٤ - اليهود .

وقد خاطب القرآن المدني هذه الطوائف كلها ، فلا بد أن يتغير أسلوبه عن أسلوب القرآن المكي . فقد كان اليهود أرقى من العرب عقلية ، فهم أهل كتابة وأهل كتاب . كذلك انفسح المجال للتشريع الإسلامي فغاب السجع القصير من الآيات المدنية لأنه لا يناسب التشريع وإنما كان يناسب التأثير الوجداني .

يتبين إذن أنه ترتب على تغير أوضاع الحياة بتغير دار التنزيل تغير أسلوب الآيات وموضوعاتها ، حتى أصبح للآيات التي نزلت بمكة مميزات تميزها عن الآيات التي نزلت بالمدينة .

وسميت الآيات التي نزلت بمكة وضواحيها مثل حراء والحديبية ومنى وعرفات بالآيات المكية . كما أطلق اسم المدينة على الآيات التي نزلت بالمدينة وضواحيها كبدر وأحد . وفي اعتبار آخر أن المكي هو ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء كان في المدينة وضواحيها أو غير ذلك . ويلاحظ في المعنى الأول أنه غير ضابط ولا حاصر فيخرج منه ما نزل بغير مكة أو المدينة كقوله تعالى : « وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ »<sup>(١)</sup> فقد نزلت بالطريق أثناء الهجرة . وكقوله تعالى : « لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ .. »<sup>(٢)</sup> نزلت بتبوك ، وكقوله تعالى : « وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ »<sup>(٣)</sup> نزلت ببیت المقدس ليلة الإسراء . أما المعنى الثاني للاصطلاح فهو المشهور .

(١) سورة محمد ١٣ . (٢) التوبة ٤٢ . (٣) الزخرف ٤٥ .

وهناك معنى ثالث : هو أن المكّي ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ، ولكنه كذلك معنى ليس من السهولة حصره .

هذا باعتبار الآيات ، أما باعتبار السور فتعتبر السورة مكية إذا نزل أولها في مكة قبل الهجرة وإن تخللتها آيات مدنية . وتعتبر مدنية إذا نزل أولها بعد الهجرة بالمدينة وإن تخللتها آيات مكية .

ولمعرفة المكّي والمدني فوائد مثل تمييز الناسخ من المنسوخ إذا وردت آيتان في موضوع واحد، إحداهما مكية والأخرى مدنية . ومعرفة تاريخ التشريع الإسلامي وتدرجه الحكيم مما يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالمًا . يدل على ذلك اهتمام المسلمين به حتى ليعرفون ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها .

ولما كان بدء الوحي في ١٧ رمضان سنة ٤١ من ميلاد

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان وصول النبي إلى المدينة في هجرته في أول ربيع الأول سنة ٥٤ من ميلاده صلى الله عليه وسلم ( إذ كان خروجه من مكة في ١٧ صفر من نفس العام ) ثم انقطع الوحي بعد التاسع من ذي الحجة سنة ٦٣ من ميلاد الرسول الموافقة لسنة ١٠ من الهجرة ، فبناء عليه تكون مدة العهد المكي ١٣ يوم و ٥ أشهر و ١٢ سنة ، ومدة العهد المدني ٩ أيام و ٩ أشهر و ٩ سنين .

وقد بلغ عدد آيات القرآن الكريم وفق عد البصريين ٦٢٠٤ آية ، وعددها عند أهل الشام ٦٢٢٦ إذا اعتبرت البسمة آية و ٦٢٢٥ إذا لم تعتبر آية . وقول الكوفيين عن علي بن أبي طالب أن عدد آيات المصحف ٦٢٣٦ ، وبه تأخذ جميع المصاحف المتداولة بين أيدينا اليوم ، ولا نعلم ولم نلاحظ أن هناك مصاحف تأخذ بعدد أهل الشام أو البصرة مما هو متداول بين أيدي الناس في مصر .

وتنتظم هذه الآيات ١١٤ سورة ، منها ٢٣ سورة مدنية

تكوّن ما يزيد قليلاً على  $\frac{1}{3}$  من القرآن منها كثير من سور الطوال مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء . ومجموع آيات المدني ١٤٥٦ . وما تبقى فهو مكّي تنتظمه ٩١ سورة تكوّن ما يقل قليلاً عن  $\frac{1}{3}$  من القرآن .

### مميزات المكّي والمدني :

معرفة المكّي والمدني يُرجع فيه لحفظ الصحابة والتابعين ، فلم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء . وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان فهم يشاهدون تنزيل الوحي ومكانه وزمانه وأسباب نزوله عياناً . وقد وقع خلاف في بعض السور وإتقان في بعض . والخلاف أظهر ما يكون في السور المكّية لأن حوادث مكة لم تكن بوضوح حوادث المدينة ، ولذلك فالخلاف بين المستشرقين في السور المكّية دون المدنية .

على أنه لكل من المكّي والمدني مميزات تميزه من عرفها

أمكنه التمييز بينها نجملها فيما يلي :

١ - آيات المكي على الجملة قصار بخلاف الآيات المدنية.

دليل ذلك أن السور المدنية تزيد قليلاً على  $\frac{1}{3}$  من القرآن مع أن عدد آياتها لا تزيد على ربع مجموع آيات القرآن. قارن مثلاً جزء قد سمع ( الجزء الثامن والعشرون ) فهو مدني ومجموع آياته ١١٧ آية بجزء عم ( الجزء الثلاثون ) وهو جزء مكبي عدد آياته ٥٧٠ آية . وانظر إلى سورة الأنفال المدنية آياتها ٧٥ آية بينما سورة الشعراء المكية ٢٢٧ آية وكلتاهما أربعة أرباع من الحزب . وبالجملة قارن الآيات المدنية بالآيات المكية تلاحظ فرقاً ملموساً من حيث طول الآيات .

فائدة : أقصر آية في كتاب الله " يس " وهي مكية ،

وأطول آية هي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة وهي مدنية .

على أن هذا ينطبق على الغالب ولكن يوجد أحياناً من

المكي ما هو أطول من المدني .

٢ - خطاب الجمهور في المدني يغلب أن يكون بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا » و « يا أهل الكتاب » بينما يمتاز المكي في خطابه للجمهور بقوله : « أيها الناس » و « يا بني آدم » . ولم يرد أبداً في الآيات المكية قول : « يا أيها الذين آمنوا » بينما ورد في المدني سبع مرات قوله « يا أيها الناس » وهي :

(١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ  
في البقرة

(٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ

في البقرة

حَلَالًا طَيِّبًا

في النساء

(٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ

في النساء

(٤) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ

(٥) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ

في النساء

بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ

(٦) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ

في النساء

مِّنْ رَبِّكُمْ

(٧) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

في الحجرات

ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ

٣ - معظم ما جاء في الآيات المكية كان من المقصد الأول للدين وهو التوحيد وإقامة البراهين على وجود الله ووصف يوم الدين والحث على مكارم الأخلاق وضرب الأمثال بالأمم الماضية مما يخاطب به أهل الشرك . أما الآيات المدنية ففيها التشريع التفصيلي والحدود والإذن بالجهاد وبيان أحكامه .

٤ - كل ما أوله حروف تهجّي مثل ألم - آل - ق . فهو مكّي ما عدا سورتي البقرة وآل عمران وفي الرعد خلاف . وفي القرآن الكريم تسع وعشرون سورة تبدأ بحروف تهجّي منها الثلاث سالفه الذكر وست وعشرون سورة مكية .

٥ - كل ما في القرآن من ذكر الأمم الماضية وقصص الأنبياء فهو مكّي ، لأن القرآن في مخاطبته للمشرّكين في مكة اعتمد على الأدلة الفطرية التي لا تحتاج إلى فلسفة في إقناعهم .

٦ - كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية ما عدا سورة البقرة فهي مدنية .

٧ - كل سورة فيها سجدة فهي مكية .

٨ - أكثر سور المفصل مكِّي ، وهي السور الأخيرة من القرآن الكريم مبتدأة بالحجرات . سميت بالمفصل لكثرة الفصل بين السور فيها لقصرها .

٩ - كل سورة فيها وصف المنافقين وذكرهم فهي مدنية ، ما عدا سورة العنكبوت فهي مكية ورد فيها الآية ( ١١ ) عن المنافقين هي قوله تعالى : « وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ » . إلا أن هذه الآية بالذات مدنية وإن جاء ترتيبها في سورة مكية .

١٠ - كل سورة فيها كلمة « كلا » فهي مكية مثل قوله تعالى : « كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى » .

١١ - جاء القسم في القرآن الكريم فاتحة لتسع عشرة سورة مكية نحو : والصافات . والذاريات . والضحى .

والعاديات . والعصر .. ليأتي العرب على ما ألفوا من  
أساليب ويأتي القسم :

( ١ ) لتذنيه أذهان السامعين .

( ٢ ) لتعظيم المقسم به .

( ٣ ) لتذنيه الأذهان إلى وحدانية الله .

( ٤ ) لإدخال التسلية على نفس الرسول .

( ٥ ) للابتعاد عن الجدل .

# الآية والشيرة

معنى الآية :

لها عدة معان لغوية :

- ١ - فالآية العلامة : ومنه قوله تعالى « إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ » .
- ٢ - والآية الجماعة : يقال خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم .
- ٣ - والآية المعجزة : لأنها يعجز البشر عن التكلم بمثلها .  
ومنه قوله « سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ » .
- ٤ - الآية العبرة : ومنه قوله « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً » .
- ٥ - الآية الأمر العجيب : ومنه قوله « وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً » .

- ٦ - الآية الدليل والبرهان : ومنه قوله « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ »

والمناسبة بين المعنى الاصطلاحي للآية والمعاني اللغوية السالفة أن الآية معجزة ولو بانضمامها إلى غيرها وهي علامة على صدق من جاء بها ، وهي عبرة لمن أراد أن يعتبر، وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السمو والإعجاز، وهي جماعة من حروف القرآن وطائفة منه، وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلى قدرة الله وصدق الرسول .

**معنى السورة :**

١ - يقال لما ارتفع من الأرض سور . والتسور : هو الارتفاع من منزلة إلى منزلة ومنه قوله تعالى: « وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ »<sup>(١)</sup> أي تسلقوا المحراب . فسميت السورة سورة لشرفها وارتفاع قدرها .

٢ - وقيل لأن قارئها يشرف على ما لم يكن عنده كسور البناء .

٣ - وهمز بعضهم السورة من القرآن فقالوا « سورة »

---

(١) ص ٢١ .

وتأويلها القطعة التي أفضلت من القرآن عما سواها، وذلك أن سؤر كل شيء النفثة منه تبقى بعد الذي يؤخذ منه، ولذلك سمي ما يبقى في الإناء بعد الشرب سؤراً، ثم خففت الهمزة فأبدلت واواً فصارت سورة .

٤ - وقيل لتامها وكالها من قول العرب للناقاة التامة سورة .

### أسماء السور :

وقد سميت سور القرآن بمفتتحاتها وما يذكر في أوائلها مثل الأنفال أو لها « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ » والإسراء أو لها « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا » وطه أو لها « طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى » . ولكن في القرآن خمس وثلاثون سورة شذت عن هذه القاعدة فسميت بأسماء أشياء لم تذكر في أوائلها مثل سورة البقرة لم تذكر قصة البقرة ولا لفظها إلا بعد ست وثلاثين آية . وجاء ذكر آل عمران في سورة آل عمران بعد ٣٢ آية وذكرت المائدة في سورة المائدة بعد عشر آيات ومائة أي قرب آخر السورة .

ويعزى هذا إلى أحد تعليلين ظنيين :

الأول: أن قصة البقرة في سورة البقرة وقصة آل عمران في سورة آل عمران مثلاً هي وإن لم تكن أول هذه السور تلاوة وترتيباً ، إلا أنها أولها نزولاً اعتباراً بأكثر السور وذلك لأن القرآن لم يرتب حسب نزوله لا في سورته ولا في آياته.

الثاني: أن تكون السورة انفردت بتفصيل الواقعة ذات الإسم المنسوب إلى السورة مثل البقرة لم تذكر قصتها إلا في سورة البقرة ، وكذلك قصة المائدة لم تذكر إلا في سورة المائدة ، وقصة يوسف لم تذكر إلا في سورة يوسف .

### ترتيب الآيات :

اتفق المؤرخون على أن ترتيب الآيات في السور كان واحداً في كل المصاحف التي جمعت قبل وفاة الرسول وعقب وفاته. ذلك أن جبريل عليه السلام كان يقف النبي على موضع الآية من السورة ، فاتساق الآيات في السور عن محمد صلى الله

عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى يدل على ذلك قوله تعالى :  
 « يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ  
 قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا » (١) . وهي من  
 الآيات التي نزلت في الفترة الأولى من البعث ، فمطالبة النبي  
 بقيام الليل مرتلاً للقرآن يرجح أنه لم يكن آيات مبعثة من  
 غير ترتيب ، مما يدل على أن الآيات رتبت في حياة النبي  
 صلى الله عليه وسلم .

### ترتيب السور :

أما ترتيب السور والابتداء بالفاتحة بالبقرة فآل عمران  
 وهكذا فذلك ما اختلف فيه . فقد اختلف السلف في ترتيب  
 سور القرآن : فمنهم من كتبها على تاريخ نزولها وقدم المكي  
 على المدني ، ومنهم من جعل في أول مصحفه الفاتحة على  
 اختلاف شديد . ويحتمل أن يكون ترتيب السور على ما

---

(١) الزمل ١ - ٤ .

هو عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة .  
ومن المؤكد أن مصحف عثمان الذي كتبه زيد ورفاقه كان  
على هذا الترتيب بالضبط سورة بسورة وآية بأية .

ومما يدلنا على أنه ليس من الواجب إثبات القرآن في  
المصاحف على تاريخ النزول ، ما صح وثبت من أن الآيات  
كانت تنزل بالمدينة فتوضع في السور المكية أو تنزل في مكة  
فتوضع في السورة المدنية ، وكذلك قول عائشة رضي الله  
عنها « وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده » تعني  
بالمدينة . وقد قدمنا في المصحف على ما نزل قبلها بمكة . ولو  
ألفوه على تاريخ النزول لانتقض ترتيب الآيات .

وقال قوم من أهل العلم إن تأليف سور القرآن على ما  
هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبي صلى الله عليه  
وسلم ، وأن جبريل كان يقف النبي على موضع السورة والآية .  
فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف عن محمد صلى الله

عليه وسلم عن رب العالمين وأنه كان يقول ضعوا السورة موضع كذا وكذا من القرآن . أما ما روي عن اختلاف ترتيب السور عن هذا الترتيب في مصحف أبيّ وابن مسعود فإنما كان قبل العرض الأخير الذي عرضه الرسول صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام مرتين قبل اختيار النبي الرفيق الأعلى والذي قرأه عليه زيد بن ثابت وأن النبي رتب لهم السور بعد أن لم يكن فعل ذلك . قال مالك : إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعون من الرسول عليه الصلاة والسلام . وسواء كان ترتيب السور توقيفياً أم اجتهادياً ، فإنه ينبغي احترامه ، لا سيما في كتابة المصحف لأنه إجماع عن الصحابة والإجماع حجة ، ولأن خلافه يجر إلى فتنة ودرء الفتنة واجب . أما ترتيب السور في التلاوة فليس بواجب إنما هو مندوب .

### أقسام السور :

قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام :

١ - الطوال : سبع سور وهي : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف . واختلف في السابعة أهى الأنفال وبراءة معاً لعدم الفصل بينهما بالبسملة أم هي سورة يونس .

٢ - المئون : هي السور التي تزيد آياتها عن مائة أو تقاربها .

٣ - المثاني : هي التي تلي المئين في عدد الآيات .

٤ - المفصل : وهو أواخر القرآن ، واختلف في تعيين أوله على اثني عشر قولاً قيل أوله « ق » وقال النووي « الحجرات » وقيل غير ذلك . والمفصل ثلاثة أقسام : طوال المفصل وهو من الحجرات إلى البروج ، وأواسط المفصل وهو من « الطارق » إلى « لم يكن » ، وقصار المفصل وهو من « إذا زلزلت » إلى آخر القرآن .

## الأحرف<sup>٧</sup> السبعة

رجعنا إلى كثير من المراجع فلم نجد الآراء اختلفت في شيء اختلفها في هذا الباب، حتى ليعسر جداً أن يقتنع من يستعرض هذه الآراء برأي بالذات دون الآراء الأخرى - وكل صاحب رأي يدعم رأيه بحجج منها المعقول المقبول ومنها المصنوع المتكلف، ونظراً لأن الوصول إلى رأي مؤكد أمر غير هين ونظراً للحرص على ألا تزيد هذه الرسالة عن هذا القدر وخشية الإملال رأينا أن نقتصر هنا على سرد أهم هذه الآراء دون مناقشتها مع ترجيح الرأي الأول دون قطع به، محيلين من أراد التوسع في هذا الموضوع إلى مراجعه، مثل الإتيان للسيوطي ومناهل العرفان للزرقاني واللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ومقدمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي وإعجاز القرآن للرافعي .

وسبب ترجيح الأول عندنا، هو بساطته، وإمكان

فهمه بسهولة دون تحميل الألفاظ أكثر مما تحتمل ، بخلاف الآراء الأخرى التي لا نتصور أن يفهمها العرب بسهولة وتتطرق إلى أذهانهم من قوله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » . وقد ورد في معنى الأحرف السبعة أكثر من خمس وثلاثين قولاً نذكر منها سبعة :

أولاً : كانت جزيرة العرب في الجاهلية مكونة من وحدات منعزلة متمثلة في قبائلها . وقد نشأت اللهجات العربية القديمة نتيجة انعزال تلك القبائل بعضها عن بعض وتمسكها بتقاليدها . كذلك نشوب الغارات بين القبائل يدعو إلى التفرقة بين المرء وأهله ويبعد الأطفال عن رعاية آبائهم ، مما ساعد على نمو التطورات اللغوية . فإذا مر جيل أو جيلان رأينا تلك التطورات التي لم تكن في بادئ الأمر إلا أخطاء أطفال لم تصلح في حينها قد أصبحت فيما بعد عنصراً صحيحاً معترفاً به بين المتكلمين بهذه اللهجة . فلما دعت الحاجة إلى اتصال تلك القبائل في مواسم الحج قبل الإسلام

وإلى إقامة الأسواق للتجارة واتخاذها مواسم ثقافية ، كان لا بد من وسيلة للتفاهم، فكان على كل خطيب يريد أن يعجب السامعين أن يتحاشى تلك الصفات الخاصة التي تتصل بلهجة بالذات وأن يتحدث بلغة تواضعوا عليها وألفوها. وصارت اللغة النموذجية التي نشأت في مكة هي لغة الشعر والخطابة والأمور الجدوية، هذا إلى جوار اللهجات الأخرى الشائعة بين العامة في مختلف القبائل والتي لا يعرفون غيرها .

فلما جاء الإسلام أراد أن يتألف قلوب العامة والخاصة معاً فسمح بأن يقرأ القرآن الكريم ببعض تلك الصفات رغم أنه نزل بلهجة موحدة تيسيراً للعامة وتأليفاً لقلوبهم . وهذا هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وليست هذه الحروف السبعة مقصورة على اللهجات العربية بل تشمل جميع لهجات المسلمين . فإذا قرأ الهندي أو التركي المسلم القرآن ببعض الخلافات الصوتية في نطقه وجب ألا ننكر عليه قراءته ، فهي غاية جهده ولا

يقدر على غيرها . وجميع الروايات السابقة لحديث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » تؤيد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد به إلا أن يمنع الناس من القدح في قراءة غيرهم .

أما الناحية العددية في الحديث فليس المقصود بها حقيقة العدد سبعة بل المراد مجرد التعدد، وهو ما ينسجم مع العقلية السامية ، لأن العدد سبعة في التعابير السامية يعبر عن التعدد والكثرة، ويستعمل العرب لفظ السبعة والسبعين والسبعمئة، لا يريدون بها حقيقة العدد وإنما يريدون الكثرة والمبالغة ومثل ذلك في القرآن « كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ » و « إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ » .  
وبهذا الرأي أخذ القاضي عياض .

ثانياً : سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بالفاظ مختلفة  
مثل : « انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ - أمهلونا - أخرجونا - ارقبونا ( بدلاً من انظرونا ) » ومثل « كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافِهِ - سعوا فيه - مروا فيه » وهو رأي أكثر أهل

العلم . مثل : سفيان بن عيينة والطبري والطحاوي .

ثالثاً : الأحرف السبعة هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها يمنها ونزارها . وقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم . وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن ، بعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن .. الخ . إذ أن بعضه لا كله نزل بسبع لغات ، قال تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا » ولم يقل قرشياً ، مما يدل على أنه نزل بلغات العرب كلها لا قريش وحدها .

رابعاً : اللغات السبع في مضر لقول عثمان : « نزل القرآن بلغة مضر » .

خامساً : الأحرف السبع هي معاني الكتاب وهي :

- ١ - أمر
- ٢ - نهي
- ٣ - وعد
- ٤ - وعيد
- ٥ - قصص
- ٦ - مجادلة
- ٧ - امثال .

سادساً : مذهب ابن قتيبة والقاضي ابن الطيب أن

الأحرف السبعة هي وجوه الاختلاف في القراءة وهي :

١ - ما تتغير حر كته ولا يزول معناه مثل: «هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» .

٢ - ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب مثل :  
« رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » و « بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » .

٣ - ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف  
مثل: « ننشزها - ننشرها » .

٤ - ما تتغير صورته ويبقى معناه مثل : « كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ - كَالصُوفِ الْمَنْفُوشِ » .

٥ - ما تتغير صورته ومعناه مثل : « وطلح منضود - وطلح منضود » .

٦ - التقديم والتأخير مثل : « وَجَاءَتْ سَكْرَةٌ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ - وجاءت سكرة الحق بالموت » .

٧ - الزيادة والنقصان مثل: « تسع وتسعون نعجة أنثى -

وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين .

وذهب ابن الجزري مذهباً قريباً جداً من هذا ويتفق معه في أكثر بنوده .

سابعاً : مذهب الرازي وهو المختار عند الزرقاني، أن الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف :

١ - اختلاف الأسماء من أفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث مثل : « لأماناتهم - لأمانتهم » .

٢ - اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر مثل : « بَاعَدَ بين أسفارنا - بَعَّدَ بين أسفارنا » .

٣ - اختلاف وجوه الإعراب مثل : « ولا يضارُّ كاتب ولا شهيد - ولا يضارُّ كاتب ولا شهيد » .

٤ - الاختلاف بالنقص والزيادة .

٥ - الاختلاف بالتقديم والتأخير .

٦ - الاختلاف بالإبدال مثل : « طلع منضود - طلع

منضود » .

٧ - اختلاف اللهجات ، كالفتح والإمالة والترقيق  
والتفخيم .. الخ .

وهذا المذهب قريب من سابقه . قال ابن حجر في هذا  
عن الرازي : « وقد أخذ كلام ابن قتيبة ونقحه » .

أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف :

روي حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، وصح  
من طرق مختلفة عن واحد وعشرين من الصحابة ، منهم  
أبو بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وابن عباس وأبي بن  
كعب وعبدالرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاذ بن  
جبل وأنس وحذيفة .

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف :

١ - التيسير على الأمة الإسلامية عموماً ، والعرب الذين  
شوفهوا بالقرآن خصوصاً ، لما بين قبائلهم من اختلاف في  
اللهجات ونبرات الأصوات وطريقة الأداء وشهرة بعض

الألفاظ في بعض المدلولات .

٢ - جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد يوحد بينها، وهو لسان قریش الذي نزل به القرآن والذي تضمن مختارات كثيرة من السنة القبائل الأخرى . وعلى هذه السياسة الرشيدة نزل القرآن على سبعة أحرف يصطفي ما شاء من لغات القبائل العربية .

٣ - بيان حكم من الأحكام : كقوله تعال في كفارة اليمين : « فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ » . وجاء في قراءة « أو تحرير رقبة مؤمنة » فتبين بها شرط الإيمان في الرقبة المعتوقة كفارة يمين .

٤ - الجمع بين حكيمين مختلفين بمجموع القراءتين : كقوله تعال : « فَأَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ » . قرئت ( يَطْهَرْنَ ) بالتخفيف وقرئت

يَطَهَّرْنَ) بالتشديد وهو يفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض ، ولا يفيد التخفيف هذه المبالغة . فجموع القراءتين يفيد أن الحائض لا يقربها زوجها حتى ينقطع الحيض وأنه لا يقربها إلا إن بالغت في الطهر فاغتسلت .

٥ - الدلالة على حكمين شرعيين في حالين مختلفين :

كقوله تعالى : « فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » (١) قرىء بنصب لفظ ( أَرْجُلَكُمْ ) وقرىء بجرها . فالنصب يعني العطف على لفظ وجوهكم فهو يفيد طلب غسلها ، أما الجر فيعني العطف على لفظ رؤوسكم فيفيد طلب مسحها . وقد بين الرسول أن المسح يكون للابس الخف وأن الغسل يجب على من لم يلبس الخف .

---

(١) سورة المائدة ٦ .

٦ - رفع توهم ما ليس مراداً : كقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا  
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ »<sup>(١)</sup> . وقرىء ( فامضوا ) فالقراءة الأولى  
توهم وجوب السرعة في المشي إلى الصلاة ، ولكن القراءة  
الثانية ترفع هذا الوهم .

٧ - بيان لفظ مبهم : نحو قوله : « وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ » ، وقرىء « كالصوف المنفوش » .

---

(١) سورة الجمعة ٩ .

## النسخ والمنسوخ

النسخ : هو رفع حكم شرعي سابق بنص لاحق مع التراخي بينهما أي أنه يكون بين الناسخ والمنسوخ زمن يكون المنسوخ ثابتاً مقررأ بحيث لو لم يكن النص الناسخ لاستمر العمل بالسابق .

ويلزم التفريق بين النسخ والتخصيص ، فالتخصيص هو إرادة الخصوص من اللفظ العام من أول الأمر كآية الزَّانِيَةُ وَأَزْوَاجُهُ فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ .. «<sup>(١)</sup> . فالمقصود هنا الحرائر فقط بدليل الآية المخصصة لها « فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ »<sup>(٢)</sup> .

### النسخ في الشرائع :

والنسخ واقع في كل شريعة بالنسبة لما قبلها، وفي الشريعة

---

(١) سورة النور ٢ . (٢) سورة النساء ٢٥ .

الواحدة . فالشريعة الموسوية نسخت ما قبلها ، وشريعة عيسى عليه السلام نسخت شريعة موسى ، ولكن النسخ لم يتناول لب هذه الشرائع ، فهي متحدة في جملة مراميها الخلقية وتوحيد الله . ولذلك ذكر الله شرائع النبيين على أنها واحدة لا تنافر بينها ، بالنسبة لأصولها ومراميها الكلية فقال تعالى :  
« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ » (١) .

حتى إذا صقلت النفس الإنسانية بتجارب الأحقاب ونضج العقل البشري جاءت شريعة الإسلام كليه في أكثر أحكامها في شؤون الهداية والاجتماع ، مخاطبة لكل الأجيال اللاحقة ، صالحة لكل زمان ومكان .

---

(١) سورة الشورى ١٣ .

وفي الشريعة الإسلامية ناسخ ومنسوخ. وكانت الأحكام المنسوخة مناسبة في أوقاتها، حتى إذا زال ما يقتضي وجودها جاءت الأحكام المحكمة<sup>(١)</sup>. فالنسخ لا يجوز بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبوفاته صارت آيات القرآن كلها محكمة ثابتة في عنق الأجيال إلى يوم الدين. ويرجع في معرفة النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا، ولا يعتمد في هذا المجال قول عوام المفسرين أو المجتهدين بالرأي أو الاجتهاد عن غير نقل صحيح .  
وتتضح أهمية معرفة النسخ والمنسوخ من أنه لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه النسخ والمنسوخ .

### الحكمة في جواز النسخ :

والحكمة في جواز النسخ هي التيسير على الأمة ، ولأن النسخ علاج للجماعة الإسلامية في عصرها الأول. ولم يثبت

---

(١) المحكم من الآيات ما ليس منسوخاً ولا متشابهاً .

النسخ قط في الكليات وإنما جاء في بعض التفصيلات الجزئية،  
ولذلك جاء النسخ بعد الهجرة عندما أخذ النبي صلى الله عليه  
وسلم في إنشاء الدولة الإسلامية، ولأن الذي نزل بمكة إنما  
كان قواعد كلية وهي غير قابلة للنسخ .

وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوم غير ذي  
شريعة ولا منهاج ثابت. فلو نزلت عليهم الشريعة بتكاليفها  
دفعة واحدة ما أطاقوها ولنفروا منها، فجاءت شيئاً فشيئاً،  
حتى إذا أخبتت قلوبهم لله وما نزل من الحق خو طبوا  
بالشريعة كلها فحرمت أشياء كانت مباحة وكلفوا أموراً لم  
يكونوا مكلفيها من قبل .

مثال ذلك - أن الخمر كانت من مفاخر العرب ، فكان  
لا بد للإسلام أن يتركهم عليها حتى يستأنسوا بروح الإسلام،  
فيعرفوا ما في الخمر من مآثم ، وكان القرآن يستدرجهم إلى  
التحريم شيئاً فشيئاً فقال : « وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ  
سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ »<sup>(١)</sup> ثم قال : « يَسْأَلُونَكَ

(١) سورة النساء ٤٣ .

عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ  
 وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا <sup>(١)</sup> . فقوله « يَسْأَلُونَكَ عَنِ  
 الْخَمْرِ .. » يدل على أن المسلمين بدأوا يفكرون ويسألون  
 فيها ، حتى تنادى عقلاؤهم بماثمها وقال عمر : اللهم بين لنا في  
 الخمر بيانا شافيا . فنزل قوله تعالى يحرمها تحريماً قاطعاً :  
 « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ  
 وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ  
 تَفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ  
 وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ  
 وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ » <sup>(٢)</sup> قالوا بقلوبهم قبل  
 أسنتهم : انتهينا يا رسول الله .

(٢) المائدة ٩٠ - ٩١ .

(١) سورة البقرة ٢١٩ .

## ما ينسخ القرآن :

للعلماء في هذا ثلاثة آراء :

١ - لا ينسخ القرآن إلا قرآن مثله لقوله تعالى : « مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا » (١)

ولا يكون مثل القرآن وخيراً منه إلا قرآن . فلا ينسخ

القرآن بالسنة . وإليه ذهب الشافعي واستدل بقوله تعالى :

« وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ

لِقَاءَنَا أَنتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي

أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ

إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » . ومعنى

هذا أنه لا يجوز للرسول (أي للسنة) أن تنسخ شيئاً من القرآن

- ولكن مع هذا يقول الشافعي رضي الله عنه إن السنة هي

التي تبين الناسخ من المنسوخ في القرآن .

---

(١) سورة البقرة ١٠٦ .

٢ - وقيل بل ينسخ القرآن بالقرآن وبالسنة أيضاً لأنها كذلك من عند الله لقوله تعالى « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ »<sup>(١)</sup> .

٣ - وقيل إذا كانت السنة بأمر الله من طريق الوحي نسخت ، وإن كانت باجتهاد الرسول فلا تنسخ .

قال الشافعي : حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ، ليتبين توافق القرآن بالسنة .

ما يقع فيه النسخ :

النسخ لا يقع إلا في الأوامر والنواهي ، فلا يقع في الأخبار كقصص الأنبياء ، ولا في الوعد والوعيد كآيات ذكر الجنة والنار ، ولا في العقائد كوجود الله ورسالات الرسل ولا في المبادئ الكلية الإسلامية كوجوب التخلق بالأخلاق

---

(١) سورة النجم ٣ .

الفاضلة. وإنما يقع فقط في الأحكام الفرعية العملية، كأحكام القتال والحدود والميراث .

## أنواع النسخ :

النسخ على ثلاثة أنواع :

١ - ما نسخ تلاوته وحكمه معاً كقول عائشة : كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات .

٢ - ما نسخ حكمه دون تلاوته وقد عد منه السيوطي عشرين موضعاً في القرآن سيأتي ذكرها بعد . والحكمة من رفع الحكم مع بقاء التلاوة تتبين من وجهين :

( أ ) أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به يتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه فتركت التلاوة لهذه الحكمة .

( ب ) أن النسخ غالباً يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة ورفع المشقة .

٣ - ما نسخ تلاوته دون حكمه - ومثاله آية الرجم، فعن أمامة بن سهل أن خالته قالت: لقد قرأ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الرجم « الشيخ والشيخة فأرجموهما البتة بما قضيا من اللذة » - وعن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها « إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتسنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » .

وقد أنكر قوم هذا النوع من النسخ وهو الأرجح .

### مواضع النسخ في القرآن :

ذكر السيوطي في الاتقان عشرين موضعاً في القرآن الكريم حدث فيها نسخ قال :

فمن البقرة قوله تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ .. » <sup>(١)</sup> منسوخة قيل بآية المواريث وقيل

(١) آية ١٨٠ .

بحديث : ألا وصية لو ارث ، وقيل بالإجماع . حكاه ابن العربي .

وقوله تعالى : « وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ  
مِسْكِينَ » <sup>(١)</sup> قيل منسوخة بقوله : « فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ  
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » <sup>(٢)</sup> وقيل محكمة ولا مقدره .

وقوله : « أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى  
نِسَائِكُمْ » <sup>(٣)</sup> ناسخة لقوله : « كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِكُمْ » <sup>(٤)</sup> لأن مقتضاها الموافقة فيما كان عليهم من تحريم  
الأكل والوطء بعد النوم . ذكره ابن العربي ، وحكى قولاً  
آخر أنه نسخ لما كان بالسنة .

وقوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ .. » <sup>(٥)</sup>  
منسوخة بقوله : « وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً .. » <sup>(٦)</sup> أخرجه  
ابن جرير عن عطاء بن ميسرة .

. (٣) آية ١٨٧ .

. (٢) آية ١٨٥ .

. (١) آية ١٨٤ .

. (٦) التوبة ٣٦ .

. (٥) آية ٢١٧ .

. (٤) آية ١٨٣ .

وقوله تعالى : « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ  
 أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ » <sup>(١)</sup> منسوخة  
 بآية : « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ  
 بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » <sup>(٢)</sup> . والوصية منسوخة  
 بالميراث . والسكنى ثابتة عند قوم منسوخة عند آخرين  
 بحديث ولا سكنى .

وقوله تعالى : « وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ  
 يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ » <sup>(٣)</sup> منسوخة بقوله بعده « لَا يُكَلِّفُ  
 اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » <sup>(٤)</sup> .

ومن آل عمران قوله تعالى : « اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ » <sup>(٥)</sup>  
 قيل أنه منسوخ بقوله : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ » <sup>(٦)</sup>  
 وقيل لا ، بل هو محكم ، وليس فيها آية يصح فيها دعوى  
 النسخ غير هذه الآية .

- 
- (١) آية ٢٤٠ . (٢) آية ٢٣٤ . (٣) آية ٢٨٤ .  
 (٤) آية ٢٨٦ . (٥) آية ١٠٢ . (٦) سورة التغابن ١٦ .

ومن النساء قوله تعالى : « وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ  
فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ » <sup>(١)</sup> منسوخة بقوله : « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ  
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » <sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى : « وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا  
مَّعْرُوفًا » <sup>(٣)</sup> قيل منسوخة ، وقيل لا ، ولكن تهاون الناس  
في العمل بها .

وقوله تعالى : « وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ » <sup>(٤)</sup> منسوخة  
بآية النور .

ومن المائدة قوله تعالى : « وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ .. » <sup>(٥)</sup>  
منسوخة بإباحة القتال فيه .

وقوله تعالى : « فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ  
عَنْهُمْ » <sup>(٦)</sup> منسوخة بقوله : « وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ » <sup>(٧)</sup> .

- |                  |                  |              |
|------------------|------------------|--------------|
| (١) آية ٣٣ .     | (٢) الأنفال ٧٥ . | (٣) آية ٨ .  |
| (٤) آية ١٥ .     | (٥) آية ٢ .      | (٦) آية ٤٢ . |
| (٧) المائدة ٤٩ . |                  |              |

وقوله تعالى : « وَآخِرَانَ مِنْ غَيْرِكُمْ » <sup>(١)</sup> منسوخ  
بقوله : « وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ » .

ومن الأنفال قوله تعالى : « إِذْ يَكُنُ مِنْكُمْ عَشْرُونَ  
صَابِرُونَ .. » <sup>(٢)</sup> منسوخة بالآية بعدها .

ومن براءة قوله تعالى : « أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا .. » <sup>(٣)</sup>

منسوخة بآيات العذر وهو قوله : « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى  
حَرَجٌ » <sup>(٤)</sup> الآية . وقوله : « لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ .. » <sup>(٥)</sup>

الآيتين . وبقوله : « وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا  
كَافَّةً » <sup>(٦)</sup> .

ومن النور قوله تعالى : « أَلزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا

زَانِيَةً .. » <sup>(٧)</sup> منسوخة بقوله : « وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى  
مِنْكُمْ .. » <sup>(٨)</sup> .

(٣) آية ٤١ .

(٢) آية ٦٥ .

(٢) آية ١٠٦ .

(٦) التوبة ١٢٢ .

(٥) التوبة ٩١ - ٩٢ .

(٤) النور ٦١ .

(٨) آية ٣٢ .

(٧) آية ٣ .

وقوله تعالى: «لَيْسَتْ أُنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..» (١)

قيل منسوخة ، وقيل لا ، ولكن تهاون الناس في العمل بها .

ومن الأحزاب قوله تعالى : « لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ

بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ

إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ » (٢) منسوخة بقوله : « إِنَّا أَحْلَلْنَا

لَكَ أَزْوَاجَكَ » (٣) الآية .

ومن المجادلة قوله تعالى : « إِذَا نَأَجْتُمُ الرَّسُولَ

فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ » (٤) منسوخة بالآية بعدها

« أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ .. » (٥) .

ومن الممتحنة قوله تعالى : « فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ

أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا » (٦) قيل منسوخة بآية السيف

وقيل ، بآية الغنيمة ، وقيل محكم .

• (٣) آية ٥٠

• (٢) آية ٥٢

• (١) آية ٥٨

• (٦) آية ١١

• (٥) آية ١٣

• (٤) آية ١٢

ومن المزمل قوله : « قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا »<sup>(١)</sup> منسوخ

بآخر السورة ، ثم نسخ الآخر بالصلوات الخمس .

فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف في

بعضها ، لا يصح دعوى النسخ في غيرها . والأصح في آية

الاستئذان والقسمة الأحكام ، فصارت تسعة عشر ، ويضم

إليها قوله تعالى : « فَأَيْنَا تَوَلَّوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ »<sup>(٢)</sup> على رأي

ابن عباس أنها منسوخة بقوله : « فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ »<sup>(٣)</sup> . الآية . فتمت عشرون . هـ .

---

(٣) البقرة ١٤٤ .

(٢) البقرة ١١٥ .

(١) المزمل ٢ .

## الحروف المفردة في أوائل السور

قال شهيد الإسلام فضيلة المرشد العام الاستاذ حسن  
البنارضي الله عنه وأرضاه<sup>(١)</sup> :

« ألم » وما شابهها في أوائل السور القرآنية .

كثرت أقوال المفسرين في ذلك ، وأحقتها بالنظر  
والتقدير آراء ثلاثة :

إنها للفت النظر للاستماع للقرآن حين يتلى فهي أداة  
تنبيه ، وخاصة للمشركين الذين كانوا يعلمون تمام العلم ، أن  
محمدأ صلى الله عليه وسلم أمي لم يقرأ ولم يكتب ، قبل أن  
يوحى إليه هذا القرآن ، فمطقه بهذه الحروف على الهيئة  
التي لا يحدقها إلا القراء والكتابون أمر يستدعي الانتباه  
ويستلقت النظر .

---

(١) نقلاً عن تفسير سورة البقرة الجزء الثالث من مجلة الشهاب الصادر  
في غرة ربيع أول سنة ١٣٦٧ هـ - يناير ( كانون ثاني ) ١٩٤٨ م .

أو أنها إشاره إلى الإعجاز كأنه يقول لهم : إن هذه الألفاظ والجمل والعبارات والآيات قدر كبت من هذه الحروف البسيطة التي تعرفونها جميعاً ، ومع ذلك فقد عجزتم عن الإتيان بمثل هذا التركيب ، مع أن هذه هي مادته الأولية بين أيديكم ، فلا مندوحة لكم بعد هذا من الإقرار بأن هذا الكتاب ، المركب هذا التركيب ، من عند الله لا من صنع البشر .

أو أنها إشارة إلى فضل الكتابة وسمو منزلتها والتفاؤل بأنه كما كانت معرفة البشر للكتابة إيذاناً بانتقالهم من طور إلى طور في مدارج الرقي والكمال ، فكذلك الاهتداء بهذه الرسالة سيكون انتقالاً جديداً إلى درجة أعلى وأكمل في مدارج الحضارة الإنسانية والرقي الاجتماعي . وقد جاء القرآن حريصاً على إبراز هذا المعنى ، حتى كانت أول سورة أنزلت منه في أرجح الأقوال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم .

الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وكل ما عدا هذه الآراء الثلاثة من أقوال المفسرين ظن لا يغني عن الحق شيئاً . ومن طرائف ما ذهب إليه بعضهم في ذلك استخلاصه هذا التركيب من هذه الحروف في أوائل السور بعد حذف المكرر منها « نص حكيم قاطع له سر » كأنه يريد أن يقول إنها وصف للقرآن ، ولا دليل على هذا القول ولا سند له . اه .

## آداب قارئ القرآن وحامله

أُحِيطَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِهَالَةٍ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالتَّقْدِيسِ ؛  
حَتَّى وَصَفَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَنَّهُ كِتَابٌ مَكْنُونٌ ، وَحُكْمُ  
أَلَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : « فَلَا أُقْسِمُ  
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ  
لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ .  
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> . وَحَتَّى نَهَى الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُسَافِرَ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ إِذَا خِيفَ وَقَوَّعَ  
الْمَصْحَفَ فِي أَيْدِيهِمْ . وَأَفْتَى الْعُلَمَاءُ بِكُفْرٍ مَنْ رَمَى بِهِ فِي  
قَاذِرَةٍ ، وَبِجْرَمَةٍ مَنْ بَاعَهُ لِكَاْفِرٍ وَلَوْ ذَمِيًّا ، وَاسْتَحَبُّوا تَحْسِينَ  
كِتَابَتِهِ وَإِيضَاحَهَا وَتَحْقِيقَ حُرُوفِهَا - قَالَ النَّوَوِيُّ :  
وَيَسْتَحَبُّ أَنْ يَقُومَ لِلْمَصْحَفِ إِذَا قُدِمَ بِهِ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْقِيَامَ  
يَسْتَحَبُّ لِلْعُلَمَاءِ وَالْأَخْيَارِ فَالْمَصْحَفِ أَوْلَى .

(١) سورة الواقعة ٧٥ - ٨٠ .

فجمعنا هنا بعض ما ورد في هذا الباب عن أهل العلم ،  
 مثل النووي<sup>(١)</sup> والترمذي<sup>(٢)</sup> والقرطبي<sup>(٣)</sup> رضي الله عنهم :  
 ١ - أول ما ينبغي للقارئ والمقريء للقرآن ، أن  
 يقصدا بذلك رضا الله تعالى لقوله تعالى : « وما أمروا إلا  
 ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا  
 الزكاة وذلك دين القيمة » وألا يقصدا به ، توصلاً إلى غرض  
 من أغراض الدنيا من مال أو وجاهة أو ثناء أو نحو ذلك .  
 قال تعالى : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي  
 حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ  
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ »<sup>(٤)</sup> .

٢ - أن يصون يديه في حال قراءة القرآن عن العبث ،  
 وعينه عن تفريق نظرهما من غير حاجة ، وأن يقعد على  
 طهارة مستقبل القبلة ويجلس بوقار وتكون ثيابه نظيفة ،

(١) في التبيان في آداب حملة القرآن . وفي رياض الصالحين وفي الأذكار .

(٢) في نوادر الأصول . (٣) في الجامع لأحكام القرآن .

(٤) الشورى ٢٠ .

وإذا وصل إلى موضع جلوسه صلى ركعتين ويجلس متربعا أو غير متربع ، فقد روى أبو بكر بن أبي داود السجستاني بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أنه كان يقرأ القرآن في المسجد جاثيا على ركبتيه .

٣ - ألا يمس القرآن إلا طاهرا لقوله تعالى: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» .

٤ - أن يقرأه على طهارة ، ويحرم للجنب والحائض قراءة القرآن سواء آية أو أقل . فإن قرأ محدثا جاز بإجماع المسلمين ، ولكنه ترك للأفضل فإن لم يجد ماء تيمم .

٥ - أن يستاك ويتخلل فيطيب فاه إذ هو طريقه .

٦ - أن يلبس كما يلبس للدخول على الأمير لأنه مناجر به .

٧ - الأفضل أن يستقبل القبلة لقراءته فقد جاء في

الحديث : «خير المجالس ما استقبل به القبلة» . ويجوز قائما أو مضطجعا أو في الفراش أو غير ذلك لقوله تعالى : «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ»

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .

٨ - ينبغي أن يكون مجلسه واسعاً ليتمكن جلساؤه فيه، فقد روى أبو داود في سننه بإسناد صحيح من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير المجالس أوسعها » .

٩ - ينبغي أن يبكر بقراءته أول النهار، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك لأمتي في بكورها » .

١٠ - الخشوع والسكينة والوقار عند تلاوته، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالاً على الناس . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبجزئه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون .

١١ - أن يتمضمض كلما تنخم - وكان ابن عباس يكون بين يديه تور<sup>(١)</sup> كلما تنخع تمضمض .

١٢ - إذا تشاءب أن يمسك عن القراءة تعظيماً للقرآن ولأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه والتشاؤب من الشيطان .

١٣ - أن يستعيد بالله عند ابتدائه للقراءة من الشيطان الرجيم لقوله تعالى: « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »<sup>(٢)</sup> .

١٤ - أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إذا ابتدأ قراءته من أول السورة ، وفي رأي أو من حيث بلغ .

١٥ - إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الأدميين من غير ضرورة .

١٦ - أن يخلوا بقراءته حتى لا يقطع عليه بكلام فيخلطه بجوابه .

---

(١) التور . إناء يشرب فيه . (٢) سورة النحل ٩٨ .

١٧ - أن يقرأه على تؤدة وترسيل وترتيل .

١٨ - أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه ، حتى يعقل

ما يخاطب به .

١٩ - أن يقف على آية الوعد ، فيرغب إلى الله تعالى

ويسأله من فضله .

٢٠ - أن يقف على آية الوعيد ، فيستجير بالله منه .

٢١ - أن يقف على أمثاله فيتمثلها ، فقد صح عن حذيفة

ابن اليان رضي الله عنه قال : « صليت مع النبي صلى الله

عليه وسلم ذات ليلة فافتتح بالبقرة ، فقلت يركع عند المائة ،

ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة ، فمضى ثم افتتح آل عمران

فقرأها ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم آل عمران

فقرأها يقرأ ترسلها إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر

بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ » رواه مسلم .

٢٢ - أن يلتمس إعرابه ( يعني معناه ) ويحرم تفسيره

بغير علم .

٢٣ - يستحب ترديد الآية للتدبر ، فعن أبي ذر رضي

الله عنه قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية يردها حتى أصبح . والآية : « إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »<sup>(١)</sup> . رواه النسائي وابن ماجه . ورددت أسماء بنت أبي بكر طويلاً : « فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ » . ورد ابن مسعود : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » .

٢٤ - أن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز

الكلام باللفظ تماماً ، فإن له بكل حرف عشر حسنات .

٢٥ - ينبغي للقارئ إذا ابتداء من وسط السورة أو

وقف على غير آخرها أن يبتدىء من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض وأن يقف على آخر الكلام المرتبط ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء .

٢٦ - إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه ويشهد بالبلاغ

---

(١) المائة ١١٨ .

لرسوله صلى الله عليه وسلم، ويشهد على ذلك أنه حق فيقول:  
صَدَّقَتْ رَبَّنَا وَبَلَّغَتْ رُسُلَكَ وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ،  
اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط . ثم يدعو بدعوات .

٢٧ - ألا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها .

٢٨ - إذا وضع المصحف ألا يتركه منشوراً .

٢٩ - ألا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبدأ

عالياً لسائر الكتب ولو كانت كتب علم .

٣٠ - أن يضع المصحف في حجره أو على شيء بين يديه

ولا يضعه على الأرض .

٣١ - ألا يمحوه من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء .

٣٢ - أن يتوقى به النجاسات .

٣٣ - ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب .

٣٤ - ألا يخلى يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة .

٣٥ - أن يعطي عينيه حظها منه لقوله صلى الله عليه

وسلم : « أعطوا أعينكم حظها من العبادة . قالوا يا رسول

الله وما حظها من العبادة؟ قال النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه» كما قال: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظراً» .

٣٦ - ألا يتأوله عندما يعرض له شيء من أمر الدنيا ، كأن يقول للرجل إذ جاء: « جئت على قدر يا موسى» وكان يقول إذا حضر الطعام : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » .

٣٧ - ألا يقرأ منكوساً التماس إظهار الحدق والمهارة .

٣٨ - ألا يقرأ بتلحين الغناء ، كلحون أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى، ولا نوح الرهبانية .

٣٩ - أن يجلل تخطيطه إذا خطه .

٤٠ - ألا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه

حتى يبغض إليه ما يسمع ويكون كهيئة المغالبة . قال عبادة ابن الصامت رضي الله عنه : « كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن وكان يُسمع لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ضجة بتلاوة

القرآن ، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا .

٤١ - ألا يماري فيه ولا يجادل في القراءات ، ولا يقول لصاحبه ليس هكذا هو .

٤٢ - ألا يقرأ في الأسواق ، ومواطن اللغظ واللغو ، ومجمع السفهاء .

٤٣ - ألا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه . بل إنَّ توسد أحاد كتب العلم حرام .

٤٤ - ألا يرمي بالمصحف إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله له .

٤٥ - ألا يصغر المصحف . وروي عن عمر بن الخطاب أنه رأى مصحفاً صغيراً في يد رجل فقال : من كتبه؟ قال : أنا . فضربه بالدرّة وقال : عظموا القرآن . ونهى رسول الله أن يقال مسيجد ومصيحف .

٤٦ - ألا يخلط فيه ما ليس منه .

٤٧ - ألا يحلى بالذهب فتخلط به زينة الدنيا .

٤٨ - ألا يكتب على الأرض ولا على حائط ، كما يفعل

به في المساجد المحدثه .

٤٩ - أن يفتتجه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة

المهجور - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات لئلا يكون في هيئة المهجور . وعن ابن عباس قال : جاء رجل فقال يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال عليك بالحال المرتحل . قال : وما الحال المرتحل ؟ قال صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله كلما حل ارتحل .

٥٠ - إذا ختم القرآن يستحب أن يجمع أهله ، فعن

قتادة أن أنس بن مالك كان إذا ختم القرآن جمع أهله . وقال الحكم كان مجاهد وعبد بن أبي لبابة وقوم يعرضون المصاحف ، فإذا أرادوا أن يختموا وجهوا إلينا أحضرونا فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن . وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الحياض يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين .

٥١ - ختم القرآن للقارىء وحده يستحب أن يكون في الصلاة، وقيل يستحب في ركعتي سنة الفجر وركعتي سنة المغرب وركعتي الفجر أفضل . ويستحب أن يختم ختمه في أول النهار في دور وختمة أخرى في آخر النهار في دور آخر . أما الجماعة الذين يختمون مجتمعين فيستحب أن تكون ختمتهم في أول النهار أو أول الليل .

٥٢ - يستحب صيام يوم الختم ، إلا أن يصادف يوماً نهى الشرع عن صيامه كالجمعة وعيد الفطر .

٥٣ - الدعاء مستحب عقيب الختم استحباباً مؤكداً . وكان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا . وينبغي أن يلح في الدعاء وأن يدعو بالأمور المهمة ويختار الدعوات الجامعة .

٥٤ - ألا يكتب التعاويذ منه ثم يدخل به الخلاء إلا أن يكون في غلاف من آدم ( جلد ) أو فضة أو غيره .

٥٥ - ألا يقال سورة صغيرة ، وكره أبو العالية أن

يقال سورة صغيرة أو كبيرة ، وقال لمن سمعه قالها : أنت أصغر منها . وأما القرآن فكله عظيم . ويعارض هذا حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم بها الناس في الصلاة .

٥٦ - يجب تعهد القرآن بالمواطبة على تلاوته ، وعدم تعريضه للنسيان ، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تعاهدوا هذا القرآن ( أي حافظوا على قراءته وواظبوا على تلاوته ) فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها . ( متفق عليه ) .  
وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت » ( متفق عليه ) .

٥٧ - يكره أن يقول نسيت آية كذا وكذا بل يقول : أنسيته أو أسقطتها ففي رواية الصحيحين « بئسما لأحدكم

أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو سيي .

٥٨ - ينبغي أن يكون الاعتناء بقراءة القرآن في الليل أكثر ، قال تعالى : « مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ » (١) . وفي الحديث الصحيح عن رسول الله : « نِعَمَ الرَّجُلِ عَبْدَ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ » .

٥٩ - أفضل القراءة ما كان في الصلاة ، أما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل ، والنصف الأخير من الليل أفضل من النصف الأول . والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة . أما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح . ولا كراهة في القراءة في وقت من الأوقات . ويختار من الأيام الجمعة والاثنين والخميس ويوم عرفة . ومن الأعياد العشر

---

(٢) آل عمران ١١٣ .

الأخير من رمضان ، والعُشْرُ الأول من ذي الحجة . ومن  
الشهور رمضان .

٦٠ - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نام عن حزبه من  
الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة  
الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل » ( رواه مسلم ) .

٦١ - يستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار ،  
ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد . وأما عن  
القراءة في الحمام ففيها قولان أحدهما أنها لا تكره والآخر  
أنها تكره .

٦٢ - يستحب تحسين الصوت بالقرآن . فعن أبي  
هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول : « ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن الصوت  
يتغنى بالقرآن يجهر به » . ( متفق عليه ) أذن : استمع ؛ وهو  
إشارة إلى الرضا والقبول . وعن البراء بن عازب رضي الله عنه

قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في العشاء بالتين  
والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه ». (متفق عليه).

وعن أبي لبابة بشير بن عبدالمندر رضي الله عنه أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يتغن بالقرآن فليس منا »  
رواه أبو داود بإسناد جيد . يتغنى : يحسن صوته بالقرآن .

٦٣ - يستحب طلب القراءة من حسن الصوت . فعن

ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم  
« اقرأ عليّ القرآن » فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك  
أنزل؟ قال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأت عليه  
سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا  
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا »  
قال : « حسبك الآن » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان .  
( متفق عليه ) .

٦٤ - يستحب البكاء عند القراءة لقوله تعالى : « وَيَخِرُّونَ  
لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا » . ولقوله صلى الله

عليه وسلم : « اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » . وعن عمر بن الخطاب أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف ، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته . وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك .

٦٥ - يجب الاستماع والإنصات إذا قرئ القرآن لقوله تعالى: « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

٦٦ - يستحب الاجتماع في القراءة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتْهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » . رواه مسلم .

٦٧ - إذا كان يقرأ ماشياً فمر على قوم يستحب أن يقطع القراءة ويسلم عليهم ثم يرجع إلى القراءة ، ولو أعاد التعود كان حسناً .

والأولى ترك السلام على الجالس يقرأ القرآن ، فإن سلم عليه إنسان فالظاهر وجوب الرد باللفظ ولا تكفي الإشارة . وكذا إذا كان يقرأ القرآن فعطس غيره وحمد الله يستحب للقارئ أن يشمته .

٦٨ - لو سمع القارئ المؤذن ، يقطع قراءته ويتابعه ، ثم يعود إلى قراءته .

٦٩ - السجود في مواضع السجود ، والأرجح أنه أمر استحباب .

٧٠ - إذا أرتج على قارئ ولم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه فسأل عنه غيره ، فينبغي أن يقرأ ما قبلها ثم يسكت ولا يقول أهو كذا أو كذا فإنه يلبس عليه .

٧١ - قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن

ظهر القلب لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة .  
٧٢ - تكره القراءة في الركوع والسجود والتشهد  
وغيرها من أحوال الصلاة سوى القيام . وكذا حالة القعود  
على الخلاء وفي حالة النعاس .  
٧٣ - إذا كان يقرأ فعرض له ريح فينبغي أن يمسك عن  
القراءة حتى يتكامل خروجها ، ثم يعود إلى القراءة ، وهو  
أدب حسن .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

## أحكام التلاوة والتجويد

ربما كان تعلم أحكام التلاوة لا يكفي فيه الكتابة ويحسن الاسترشاد فيه بمن له معرفة بها لأنها أحكام تتعلق بالنطق. ولكننا نوضح هنا القواعد والأحكام ونحاول قدر الإمكان تبيان كيفية النطق بها، وجدير بالذكر أن بعض المصاحف تتخذ قواعد في الكتابة لإظهار النطق، يحسن الالتفات إليها والرجوع إلى تعريف المصحف بآخره إن وجد، وسنشير إلى بعض ذلك في موضعه.

### أولاً : النون الساكنة والتنوين :

لاحظ نطق هذه الكلمات إذا رسمت بهاتين الطريقتين :

غَفُورُنْ - غَفُورٌ      شَرَابُنْ - شَرَابٌ

قَلِيلِنْ - قَلِيلًا      حَمِيمِنْ - حَمِيمٌ

تجد أن النطق واحد لا يتغير رغم اختلاف الرسم

## ٢ - الإدغام بغنة :

إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف كلمة « ينمو » تدغم النون الساكنة أو التنوين وتغن . والإدغام بغنة يعني عدم النطق بالنون نطقاً ظاهراً، بحيث يقرعه اللسان، ولا إدغامها تماماً كأنها غير موجودة، وتعطى الغنة حركتان . وسنعرض لمعنى الحركتين عند الكلام عن المد إن شاء الله .

ويلاحظ في شكل إثباتها هنا طريقة بعض المصاحف وهذه بعض الأمثلة :

(ي)	مَنْ يَعْمَلُ	وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
(ن)	وَمَنْ نَعَّمَهُ	يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةً .
(م)	بَلَّوْا مُبِينٌ	رَسُلٌ مِّنْ قَبْلِي
(و)	رَحِيمٌ وَدُودٌ	مِنْ وَالٍ .

وستثنى من هذه القاعدة كلمات ثلاث، لا تدغم ولا تغن وإنما تظهر، وهي : صِنْوَانٌ - قِنْوَانٌ - دُنْيَا .

- لذلك نجد أن النون الساكنة والتنوين لها أحكام واحدة ،  
لأن التنوين لا يخرج عن كونه نون ساكنة ، أضيفت بعد  
الحرف المتحرك .

## ١ - الإدغام :

فالنون الساكنة أو التنوين إذا أعقبه راء أو لام فإنها  
تدغم إدغاماً كاملاً فلا تنطق النون الساكنة أو التنوين .

مثل : ر      من رَهْمٍ - غُفُوراً رَحِيماً .  
ل      لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ - لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ .

ولبعض المصاحف في إظهار هذه القاعدة طريقة هي  
التي أثبتنا بها هذه الأمثلة السالفة، فمثلاً تكتب النون في (من  
رهم) عارية من السكون مع تشديد الراء فتنتطق (مِرْهَمٍ)  
كذلك يلاحظ وضع الشدة على راء (رحيماً) في ( غُفُوراً  
رَحِيماً ) وعلى لام (للمطففين) في (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) وعلى  
لام (للشاربين) في (لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ) فتنتطق (لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ).

### ٣ - الاظهار :

إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من الستة المذكورة في البيت :

همز فهاء ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء  
تظهر النون الساكنة أو التنوين إظهاراً كاملاً بحيث  
يقرعه اللسان . ( مهملتان أي ليس عليهما نقط ) مثل :

( ا ) يَنْتُونُ عَنْهُ وَلَا شَرَابًا إِلَّا .

( هـ ) يَنْهَوْنَ عَنْهُ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ .

( ع ) مِنْ عِلْمٍ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

( ح ) رِخَاءٌ حَيْثُ غُفُورٌ حَلِيمٌ .

( غ ) مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ .

( خ ) مِنْ خَيْرٍ مُؤْمِنٍ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ .

## ٤ - الانقلاب :

النون الساكنة أو التنوين ، إذا تلاه باء يقلب التنوين  
أو النون إلى ميم . مثال ذلك :

مَشَاءِمٍ - بِنَمِيمٍ - أَنْبِيَاءُهُمْ - كِرَامٍ - بَرَّةٌ - مُنَابِئًا -  
يُنَابِغِي .

ويلاحظ في كتابة المصاحف وضع (م) صغيرة على النون  
الساكنة أو الحرف المنون في حالات الانقلاب دلالة إقلابه  
ميمًا . فإذا كان النطق العادي لعبارة ( كرام بررة ) بدون  
مراعاة لهذه القاعدة هكذا ( كِرَامٍ بَرَّةٌ ) فإن مضمون  
القاعدة أن تنطق ( كِرَامٍ بَرَّةٌ ) .

## ٥ - الاخفات :

ذكرنا في الحالات السابقة من الحروف التي تلي النون  
الساكنة أو التنوين ثلاث عشرة حرفاً ، فيبقى من حروف  
الهجاء خمس عشرة حرفاً ، إذا جاء أحدها بعد النون الساكنة

أو التنوين يخفت إخفاتاً أشبه ما يكون بغنة ، فيخفى  
 التنوين أو النون الساكنة عند الحرف الثاني فهي قريبة من  
 قاعدة الإدغام بغنة . وهذه الحروف هي : ت . ث . ج .  
 د . ذ . ز . س . ش . ص . ض . ط . ظ . ف . ق . ك .

أمثلة :

( ت ) كُنْتُمْ - مَا أَنْتَ - مَنْ تَوَلَّى .

( ث ) جَسَدًا ثُمَّ أَنْابَ - مِنْ ثَمَرَةٍ .

( ج ) نَنْجِي .

( د ) عِنْدَهُمْ .

( ذ ) لِيُنذِرَ .

( ز ) يَنْزَعُ .

( س ) زَلْفَةً سَيِّئَةً .

( ش ) إِنْ شَاءَ - مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ .

( ص ) نَنْصُرُ .

(ض) مِنْ ضَرِيْعٍ .

(ط) كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ - وَإِنْ طَائِفَتَانِ .

(ظ) يَنْظُرُونَ .

(ف) قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ - فَإِنْ فَاتُوا - رَسُولًا

فَيُوحِي .

(ق) يَنْقَلِبُ - مِنْ قَبْلِهِمْ .

(ك) إِنْ كُنْتُمْ - مَنْ كَانَ .

ثانياً - الميم الساكنة :

إذا أعقب الميم باء أو ميم، تدغم الميم الأولى وتغن مثل:

(ب) مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ - فَهَزُّهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ - إِنْ

ر ٣٢٠ - ٣٢١

(م) إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ - وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا

تَعْلَمُونَ .

وفي بعض المصاحف تعرى الميم الساكنة، فإن تبعها باء

تشكل الباء بشكلها العادي، وإن تبعها ميم تشدد الميم الثانية.

قاعدة : النون والميم المشددتان تغنان دائماً.

ثالثاً - التقلبة :

إذا جاء أحد حروف كلمة ( قطبجد ) ق ط ب ج د ساكناً فإنه يقلقل أي يمال سكونه إلى حركة خفيفة. مثل :-  
الْقَدْرُ - سُبْحَانَ - أَنْطَعِمُ - وَجُدِكُمْ - ص  
( تنطق صَادِرِ ) .

رابعاً - المد :

ونعرض هنا إلى ما يمد حركة وحركتان وثلاث حركات وست وهكذا، وليس معنى هذا أن الحركة لها زمن معين يقاس بكذا من الثواني مثلاً ، ولكنه شيء نسبي بين الحروف بعضها وبعض لتنظيم نطق الحروف بدها أو عدمه بمقدار معين. فمثلاً كلمة «ذَرَأٌ» أو «أَكَلَ» أو «فَصَلَ» نعتبر كل كلمة منها ثلاث حركات ، باعتبار كل حرف من حروفها المتحركة حركة واحدة ، بمعنى أننا حين نقرأ « فَصَلَ طَالُوتُ » ونمد ألف «طالوت» حركتين، فإننا

نعطيها من الزمن في النطق مقدار ما ننطق به حرفين من كل «فَصَلَّ» .

والمد أنواع نذكرها فيما يلي :

١ - المد الطبيعي : وهو حركتان :

مثل «مالك يوم الدين» موضع المد في ألف مالك وياء الدين

٢ - المد العارض للسكون : ويمد من حركتين إلى ست

حركات .

وهو ما بعده سكون في آخر الكلمة مثل : «وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِالظَّالِمِينَ» فإذا وقفت في القراءة على «بِالظَّالِمِينَ» بتسكين

النون كان هذا مداً عارضاً للسكون .

٣ - مد الهمز المتصل : وهو أربع حركات أو خمس .

وهو ما جاء بعد همز متصل في كلمة واحدة مثل :

جَاءَ - جِيءَ - هُوَ لَاءَ - الْمَلَأْتُكَ .

٤ - مد الهمز المنفصل : وهو من ثلاث حركات إلى خمس .

وهو ما كان الهمز فيه بعد المد ولكن في كلمة أخرى مثل :

وَإِذَا أَرَدْنَا - إِلَّا أَنْ يُحَاطَ - يَا أَيُّهَا .

٥ - المد اللازم : وهو ست حركات :

وهو ما يأتي بعده ساكن أو شدة مثل :

الطَّامَّة - تَأْمُرُونِي - الضَّالِّينَ - أَلَمْ ( أَلْف لَامٍ مِيم ) .

٦ - مد اللين : وهو أربع حركات :

وهو ما كان في حرف الواو أو الياء المتحركة إذا وقف

على الحرف بعدها كما في كلمة : يَوْمٌ - دَيْنٌ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## كتابنا وكتبهم

« هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ »

بعد أن تناولنا بالبحث القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من حيث تنزيله وجمعه، وتدوينه وترتيبه، حتى وصل إلينا بعد أربعة عشر قرناً من الزمان نقياً صفيماً كما تلاه محمد صلى الله عليه وسلم، نرى لزاماً علينا أن نكتب فصلاً مختصراً في كتب المسيحية المقدسة لإلقاء نظرة - مقارنة بين كتابنا وكتبهم - نظرة تلزمننا باحترام هذا الكتاب الكريم . وأين الثرى من الثريا !.

المسيحية بعد المسيح :

اتفقت جميع المصادر بلا خلاف على أن المسيحيين نزل بهم من بعد المسيح بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بدينهم، يفرون به أحياناً ويصمدون مستشبهين أحياناً أخرى دون

أن تكون لهم قوة تحميمهم وتحمي ديانتهم وكتبهم . وفي  
وسط هذه المحن روي أن أناجيل النصارى الأربعة ورسائلهم  
دونت .

وكان أول ما نزل بالمسيحيين على عهد المسيح، إذ دس له  
اليهود عند الحاكم الروماني القيصر طيباروس، فأمر بالقبض  
عليه وإعدامه صلباً . ثم جاء بعده قيصران آخران نكلا  
بتلاميذ المسيح وقتلوا فيهم تفتيلاً ذريعاً . وفي زمن ثانيهما  
دون متى إنجيله بالعبرية وترجمه يوحنا صاحب الإنجيل إلى  
اليونانية . ولم يقتصر اضطهاد المسيحيين على القياصرة وإنما  
كان من اليهود أيضاً، وكان أذاهم أمكن وتنقيبهم عن العقيدة  
أدخل لأنهم من الشعب، وكان أشد ما نزل بالمسيحيين من  
عذاب وأذى في عهد نيرون سنة ٦٤ م وتراجان سنة ١٠٦ م  
وديسيوس سنة ٢٤٩ م . وقد اتهمهم نيرون بحرق روما ،  
وتفنى هو وأشياعه في تعذيبهم ، فكانوا يضعون بعضهم في  
جلود الحيوانات ويلقونهم للكلاب المتوحشة تنهشهم وكانوا

يصلبونهم، وكانوا يلبسونهم ثياباً مطلية بالقار ، ويجعلوهم  
مشاعل يستضاء بها ، وكان نيرون نفسه يسير في ضوء تلك  
المشاعل الأدمية .

دوّن مرقس إنجيله في هذا العصر سنة ٦١ م ، وكان  
بمصر ، وكتبه عنه بطرس وهو برومة . كذلك كتب لوقا  
إنجيله في عهد هذا القيصر ، يرأسل به تاوفيلس من عظماء  
الروم على ما نص في أوله . وفي عصره أيضاً أو بعده كتب  
يوحنا إنجيله ، واشتد بالمسيحيين البطش والبلاء حتى بلغ  
من قتلهم دقلاديوس سنة ٢٨٤ م ٤٠ ألفاً أو ٣٠٠ ألفاً ، حتى  
كان عهد قسطنطين فكان يمناً وبركة على المسيحيين، وإن لم  
يكن كذلك على المسيحية نفسها كفكرة ودين .

هذه الاضطهادات التي قارنت المسيحية من أول عهدها  
وفي عصر تدرجها وعصر تدوين كتبها إلى سنة ٣١٣ م  
جعلت بعض العلماء يبحثون عن قيمة هذه الكتب، وجعلت  
بعض علماء المسيحية يعتذرون عن بعض الاضطراب في

الأناجيل بأنها دونت في عصور اضطهاد المسيحية الأولى ، كما أنهم يقررون أن هذه الاضطهادات كانت سبباً في فقد السند المتصل بصاحب الشريعة . وليس في كتب الإسناد لهم إلا الظن والاستمساك ببعض القرائن ، ولكن الظن لا يغني شيئاً في هذا الباب . كما أن الاضطهاد أدى إلى سرية أعمالهم واجتماعاتهم ، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل لا يطمئن إلى ما يحدث فيها .

يؤيد هذا وجود فكرة التثليث في المسيحية ، ووجودها كذلك في الفلسفة الإغريقية - وكان المسيحيون على خلاف كبير جداً ، حتى أخذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م بإجماع ٣١٨ صوتاً من ٢٠٤٠ بفكرة التثليث ، وأخذت المجامع من بعده بها - ووجود التثليث في فلسفة الإغريق يرجع إلى أفلوطين المتوفى سنة ٢٠٧ م ( أي قبل سنة ٣٢٥ م ) . ومعنى هذا أن فكرة التثليث في الفلسفة الإغريقية تقدمت عن فكرة التثليث في المسيحية ، مما يدل على أن الثانية أخذت عن

الأولى . وقد قوي هذا الظن عند بعض علماء أوروبا ،  
فأنكروا وجود المسيح أصلاً ، واعتبروه شخصية خرافية  
ابتدعتها الفلسفة الأفلاطونية .

### مصادر المسيحية بعد المسيح :

الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والأنجيل  
ورسائل الرسل ، وتسمى التوراة والأسفار الموسوية وغيرها :  
كتب العهد القديم ، وتسمى الأنجيل ورسائل الرسل : كتب  
العهد الجديد . بيد أنه يلاحظ أن بعض الأسفار المعتمدة عند  
اليهود من كتب العهد القديم مرفوضة عند المسيحيين ، لعدم  
اعتقادهم بصحة الوحي فيها .

والأنجيل المعترف بها من الكنائس أربعة هي : إنجيل  
متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا . ولكن  
التاريخ يروي أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى  
تخالف هذه الأنجيل ، أخذت بكل إنجيل منها فرقة من الفرق  
القديمة ولم تعترف كل فرقة إلا بإنجيلها . فكان هناك إنجيل

مريقيون وإنجيل ديسان وإنجيل ماني وإنجيل السبعين وإنجيل برنابا وإنجيل التذكرة وغير ذلك. وكثرت الأناجيل كثيرة عظيمة ثم أرادت الكنيسة في أواخر القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث الميلادي أن تحافظ على الأناجيل الصادقة في اعتقادها ، فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الراجعة آنئذٍ . ويذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود هذه الأناجيل قبل آخر القرن الثاني فقد ذكرها أرينيوس سنة ٢٠٩ م . ولقد كنا نود أن نعرف هذه الأناجيل التي رفضت وسبب رفضها، حتى يتبين لنا هل أقامت الكنيسة ديانة المسيح أم مسختها .

### إنجيل متى :

كان متى من تلاميذ المسيح الإثني عشر ، ويسميهن المسيحيون رسلا . جال للتبشير بالمسيحية في بلاد كثيرة بعد صعود المسيح ، ومات بالحبشة سنة ٧٠ م على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان الملك . وقد كتب متى إنجيله

بالعبرية أو السريانية . وأقدم نسخة معروفة باليونانية . ولم تتفق الروايات في تاريخ كتابته حتى قال هورن : « ألف الإنجيل الأول سنة ٣٧ م أو سنة ٤١ م أو سنة ٤٣ م أو سنة ٤٨ م أو سنة ٦١ م أو سنة ٦٢ م أو سنة ٦٣ م أو سنة ٦٤ م » . ولم يعرف المترجم إلى اليونانية ، وقيل إنه يوحنا ولكن على اختلاف . ولا شك أن جهل تاريخ تدوين النسخة الأصلية وجهل تاريخ المترجم وحاله من صلاح وعلم بالدين وعلم باللغتين العبرية واليونانية ، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات البحث العلمي .

**إنجيل مرقس :**

لم يكن مرقس من الحواريين الإثني عشر ، ولكنه كان من أوائل من أجاب دعوة المسيح ، ومن السبعين الذين نزل عليهم روح القدس بعد رفع المسيح في زعم المسيحيين ، وكان ينكر ألوهية المسيح . ائتمر به الوثنيون في مصر فسيجنوه ثم قتلوه سنة ٦٢ م . كتب هذا الإنجيل باليونانية - كتبه بطرس رئيس الحواريين عن مرقس في رومية ونسبه إلى

مرقس في رواية، مع أن بطرس من كبار الحواريين ومرقس من تلاميذه . وفي رواية أخرى أن إنجيل مرقس كتبه مرقس نفسه بعد موت بطرس وبولس - وهذا الاختلاف وإن كان زمنياً في ظاهره فإنه في لبه اختلاف في شخص الكاتب لهذا الإنجيل . واختلف في تاريخ كتابته اختلافاً يمتد بين سنة ٥٦ م إلى سنة ٦٥ م .

### إنجيل لوقا :

كان لوقا من تلاميذ بولس ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه . قيل إنه إنطاكي ولد بانطاكية وقيل إنه روماني ولد بإيطاليا ، وقيل أنه كان طبيباً وقيل كان مصوراً . وقيل كتب الإنجيل لليونانيين . وقيل كتبه للمصريين واختلف في تاريخ كتابته بين سنة ٥٣ م وسنة ٦٤ م .

### إنجيل يوحنا :

هذا الإنجيل هو الوحيد الذي تضمنت فقراته ذكراً

صريحاً لألوهية المسيح . قيل كتبه يوحنا الحواري ، وقيل  
يوحنا آخر لا يمت ليوحنا حواري المسيح بصلة في آخر  
القرن الثاني الميلادي ، وقيل كتبه طالب من طلبة مدرسة  
الإسكندرية . وأنكرت فرقة الوجيهين في القرن الثاني هذا  
الإنجيل وجميع ما نسب إلى يوحنا . وجاء في دائرة المعارف  
البريطانية التي اشترك في تأليفها ٥٠٠ من علماء النصارى :  
« أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شك كتاب مزور » .

اختلف في تاريخ تدوينه ما بين سنوات ٦٥ م ، ٦٨ م ،  
٦٩ م ، ٧٠ م ، ٨٩ م ، ٩٥ م ، ٩٦ م ، ٩٨ م . وقيل أنه كتب  
لغرض خاص هو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة  
أن المسيح ليس بإله فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلاً يبين  
هذه الألوهية .

مما سبق يتبين لنا أن الأناجيل الثلاثة الأخرى كانت  
خلواً من ذكر ألوهية المسيح حوالي قرنًا من الزمان بعد  
وفاة المسيح ، هذه واحدة . . والثانية أن الأساقفة اعتنقوا

ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها ، فلما أرادوا التماس الدليل لجأوا إلى يوحنا ليكتب لهم هذا الإنجيل الذي يشتمل على الحجة .

هذه الأناجيل المذكورة ليست نازلة على عيسى عليه السلام ولم يملها المسيح ولا نسبت إليه، وإنما كتبت من بعده تشتمل على أخبار يحيى بن زكريا ( يوحنا المعمدان ) ومريم والمسيح وما كان من أمره ثم أخبار المؤامرة ضده والحكم عليه وصلبه فعلاً ، وقيامته من القبر ومكوته أربعين يوماً ثم رفعه إلى السماء، وكذلك قليل من الشرائع المتعلقة بالزواج والطلاق . وهي أناجيل منسوبة إلى بعض تلاميذ المسيح ومن ينتمي إليهم . ولكن هناك غير هذه الأناجيل ما يعد إنجيل عيسى وإن كان لم يصل إلينا ورد ذكره في هذه الأناجيل باسم الإنجيل أو البشارة ( وهي ترجمة كلمة إنجيل اليونانية ) .

ما يجب أن يكون في الكتاب الديني :

١- أن يكون الرسول الذي نسب إليه قد علم صدقه بلاريب .

٢ - ألا يكون الكتاب متناقضاً مضطرباً يهدم بعضه بعضاً .

٣ - أن يدعي ذلك الرسول أنه أوحى إليه به، ويدعم ذلك بالبينات .

٤ - أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول المنسوب إليه ثابتة بالطريق القطعي .

كتب النصارى :

لا يزعم النصارى أن المسيح كتبها ، وبالتالي لا ننظر في قوة نسبتها إليه ، ولكنهم يزعمون أن كاتبوها رسل من بعد المسيح . ولم نجد في مراجع المسيحيين الصحيحة أن كاتبوا هذه الأناجيل ادعوا الرسالة لأنفسهم أو دعوا الناس إلى الإيمان برسالتهم ومعهم البرهان عليها . ويدعي المسيحيون أن هؤلاء الرسل ملهمون مع أن منهم من لم يزعم الإلهام لنفسه مثل لوقا . كما أن هؤلاء الرسل لم تعرف حقيقتهم بسند صحيح . كما أن أخبار الرسل لم ترد إلا في سفر الأعمال

في إنجيل لوقا . ولوقا لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من  
تلاميذ تلاميذه فروايتة عن المسيح منقطعة السند - هذا  
على فرض صحة ما نسب إلى لوقا إليه - كما أن دعوى الإلهام  
ليست محل إجماع المسيحيين .

ومهما يكن اختلافهم بالنسبة للإلهام فإن ادعاءه ليس له  
من البينات ما يثبتته ، بل الثابت أنه باطل ، إذ لو كان صادقاً  
لما وجد الغلط والباطل والتضارب إلى هذه الكتب سبيلاً .  
فمن اطلع على الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى ،  
ثم اطلع على القرآن الكريم وكتب السنة والسيرة الحمديّة  
كذلك ، علم علماً عقلياً وقلبيّاً أنه لا يستطيع أحد أن يؤمن  
إيماناً علمياً بأن تلك الكتب وحي من الله ، وأن كاتبوها  
أنبياء معصومون فيما كتبوا ، ثم لا يؤمن بأن القرآن الكريم  
كتاب من عند الله وأن محمداً نبي معصوم فيما بلغه عن الله  
تعالى ، وأنه وصلنا كما بلغه محمد صلى الله عليه وسلم للرعيّل  
الأول رضي الله عنهم .

## خاتمة

... وبعد : فإني إذ أختم هذا الكتيب أجدني مدفوعاً إلى تسجيل شيء عن ظروف تأليفه ، فقد كتبتة ولم يخطر على بالي أن يظهر مطبوعاً بعد ذلك . ذلك أني كنت ممن فتحت لهم محنة الإخوان المسلمين أبواب السجون سنة ١٩٤٨ ، فلبثت في السجن نحواً من ثلاثين شهراً ، شاركني إياها عدد من الإخوان الكرام . ولجتمعات الإخوان طابع خاص ونظام خاص تنتظمه وتتطبع به ، حيث تكون وإن تكن في سجن . فما أن ناء التحقيق السري بكلكله بعد عام من ابتدائه وأصبح من الميسور على الإخوان المسجونين في قضايا الإخوان أن يتم اتصالحهم—وقد خصصت لهم السلطات دور ٦ بسجن مصر العمومي — حتى انتظم هؤلاء الإخوان في أسر ثقافية تتلقى دروساً في مواد مختلفة ، أذكر منها الآداب الإسلامية صنف فيها رسالة الأخ وائل شاهين طالب الطب ، ودراسة مصطلح الحديث وضع فيه

رسالة الأخ يوسف عبد المعطي طالب الآداب . ودراسة في  
الشيوعية لقنه لإخوانه الأخ مصطفى البساطي طالب  
الحقوق . وكان من نصيبي هذا البحث في علوم القرآن .  
والحق أن فترة السجن هذه ، وفقنا الله لأن نفيد منها  
فائدة علمية غالية ما كنا لننالها لولا هذه المحنة ، فأعدّ كثير  
من الإخوان كثيراً من الأبحاث القيمة .

ويدفعني هنا واجب الشكر وعاطفة الحب والإخاء أن  
أذكر بالفضل الأخ جمال الدين عطية وإخواني زملاء الزنزانة  
رقم ٣٨ الإخوان : يوسف عبد المعطي وصلاح الدين عبد المتعال  
وطاهر عماد الدين ، على ما أعانوني به في هذا البحث ، من  
تقديم المعونة والتشجيع ، شكر الله لهم وجزاهم خير الجزاء .  
وأرجو أن تكون هذه الرسالة فاتحة لما بعدها مما نسئله  
محو الأمية في العلوم الضرورية . وفقنا الله لما يحب ويرضى  
والحمد لله أولاً وآخراً . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه وسلم .

أحمد عادل كمال

شعبان ١٣٧٠ - مايو ١٩٥١

## مراجع البحث

### القرآن الكريم

- الزرقاني مناهل العرفان في علوم القرآن  
السيوطي الإلتقان  
القرطبي الجامع لأحكام القرآن - الجزء الأول  
الرافعي إعجاز القرآن  
الخضري تاريخ التشريع الإسلامي  
هيكمل حياة محمد  
» أبو بكر الصديق  
السيد رشيد رضا الوحي الحمدي  
أحمد أمين ضحى الإسلام - الجزء الثاني  
الدكتور إبراهيم أنيس اللهجات العربية  
النووي التبيان في آداب حملة القرآن  
» رياض الصالحين  
» الأذكار  
أبو زهرة محاضرات في النصرانية

# فهرس

<u>صفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٥	إهداء
٧	تقديم
١١	مقدمة : دستورنا
١٥	تنزيل القرآن :
١٦	تنزلات القرآن
١٩	أول ما نزل من القرآن
٢٢	آخر ما نزل من القرآن
٢٤	كيفية النزول
٢٨	أسباب التنزيل منجماً
٣٤	أسباب النزول :
٣٤	معنى أسباب النزول
٣٦	حكمة معرفة أسباب النزول

- ٣٦ طريق معرفة أسباب النزول
- ٣٧ التعبير عن سبب النزول
- ٣٨ تعدد أسباب النزول لنازل واحد
- ٤٠ فوائد معرفة أسباب النزول
- ٤١ جمع القرآن وتدوينه :
- ٤٤ الصحف والمصاحف
- ٤٥ صحف أبي بكر
- ٤٨ مصاحف الصحابة
- ٤٩ مصحف عثمان
- ٥٦ رسم المصحف
- ٥٧ قواعد رسم المصحف
- ٥٩ مزايا الرسم العثماني
- ٦١ دستور عثمان في كتابة المصحف
- ٦٣ هل رسم المصحف توقيفي

<u>صفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٦٦	انتساخ المصاحف
٦٨	أين المصاحف العثمانية ؟
٦٩	تحسين المصاحف
٧٠	الإعجام
٧١	شكل المصحف
٧٤	تجزئة القرآن
٧٧	المكي والمدني :
٨٤	مميزات المكي والمدني
٩٠	الآية والسورة :
٩٠	معنى الآية
٩١	معنى السورة
٩٢	أسماء السور
٩٣	ترتيب الآيات
٩٤	ترتيب السور

<u>صفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٩٦	أقسام السور
٩٨	الأحرف السبعة :
١٠٥	أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف
١٠٥	حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف
١٠٩	الناسخ والمنسوخ :
١٠٩	النسخ في الشرائع
١١١	الحكمة في جواز النسخ
١١٤	ما ينسخ القرآن
١١٥	ما يقع فيه النسخ
١١٦	أنواع النسخ
١١٧	مواضع النسخ في القرآن
١٢٤	الحروف المفردة في أوائل السور
١٢٧	آداب قارئ القرآن وحامله
١٤٦	أحكام التلاوة والتجويد :

<u>صفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٤٦	النون الساكنة والتنوين
١٤٧	الإدغام
١٤٨	الإدغام بغنة
١٤٩	الإظهار
١٥٠	الإقلاب
١٥٠	الإخفات
١٥٢	الميم الساكنة
١٥٣	القلقلة
١٥٣	المد
١٥٦	مبحث ختامي - كتابنا وكتبهم
١٦٨	خاتمة

طبع علمي مطابع  
**دار لبنان**  
للطباعة والنشر

هاتف ٢٥٧٤١١ - ٢٩٤٢٠٤ - ٢٩٣٠٤٣  
بيروت - لبنان - ص.ب ٥٦٢٠